القواعد الشرعية

في الرد على من افترى على الصوفية

تأليف
الشيخ أحمد الرفاعي الحسيني



شركة دار المشاريع

القواعد الشرعية

في الرد على من افترى

على الصوفية

مُلتزم الطبع

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

الطبعة الثانية

١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلًا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته، والعجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن ذاته كفر وإشراك، سبحانه تنزه عن الكيف والمكان والتقيّد بالزمان، والحلول والاتحاد، والاتصال والانفصال، وصفات المخلوقين وسمات المحدثين والجوهر والعرض لا تحيط به الأفهام ولا تدركه العقول، فهو لا أين ولا كيف له وهو رب الكيف والكيف يحول، سبحانه جل شأنه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى] وصلى الله على من لا نبي بعده سيدنا وحبيبنا ونور أبصارنا وبصائرنا وشفيع ذنوبنا محمد عليه أفضل الصلوات وعلى ءاله شموس الهداية وكواكب العرفان وأصحابه نجوم الهدى وأقمار التقى والنقى وعلى أتباعه إلى يوم الدين وحشرنا في زمرته وتحت لوائه ءامين يا رب العالمين.

وبعد فقد ابتليت طوائف من الناس بعقائد فاسدة زائغة مضلة ليست من الإسلام وأدخلت باسم الدين ليهون على أصحابها الكفرة المارقين التلبيس على الأمة في عقائدها، ومن أخطر هذه الفئات القبيحة بكفرها الشنيع فئة إبليسية لعينة تطاير شرر فتنتها في الآفاق، واستفحل شرها وهذه الطائفة تدعي التصوف الإسلامي وهو بريء منها فوجب التحذير منها.

فقمت بعون الله سبحانه وتعالى أذبُّ عن الشريعة الغراء وطريقة

السادة الصوفية الفضلاء التي هي التمسك والعمل بما أمر الله به والابتعاد عن المحرمات والإكثار من النوافل وعدم تعلق القلب بمحبة الدنيا، والإقبال بهمة على الآخرة وشوق وشغف بالإخلاص وصدق الطوية وسلامة الصدر وصفاء القلب والتأدب بأدب الشريعة الشريفة البيضاء، وقد حزّ في نفسي ما رأيت من أدعياء التصوف الذين شوهوا سمعة طرق الصوفية، وادعائهم الولاية والمقامات والأحوال ودرجة الإرشاد، والكثير منهم ليسوا بمسلمين ارتدوا لزندقتهم وانغماسهم في مستنقع القول بالحلول ووحدة الوجود المطلقة التي حاربها السادة الصوفية وأعلنوا براءتهم ممن يقول بها فلذا قال سيدي وجدي الأكبر إمام الصوفية الشيخ أحمد الرفاعي الكبير: «كل طريقة خالفت الشريعة فهي زندقة».

وقد استشهدت في كتابي هذا بكلام أئمة الصوفية وعزوت الأقوال إلى أصحابها لأن كثيرًا من الناس يذمون طرق الصوفية جهلًا وتعنتًا منهم، وإنما يُذَمُّ من حاد عن الشريعة واتخذ هواه الباطل سبيلًا وإن كان يدعي الطريقة فهذا يجب التحذير منه لأن ضرره كبير.

فالمنصف يحكم بالشرع لا بالهوى والرأي الفاسد.

وزن بحكم الشرع كل خاطر
فإن يكن مأموره فبادرِ

وإني أسأل الله التوفيق وأن يجعل النفع العميم في هذا الكتاب إنه على ما يشاء قدير.

وكتبه: مداح الرسول الأعظم ﷺ
الشيخ أحمد عبد الله الرفاعي

عَقيدَة الصوفيَّة
عقيدة أهل السنّة والجماعة

قال الشيخ أبو بكر محمد الكلاباذي في كتابه «التعرف لمذهب أهل التصوف» في ذكر عقيدة أهل التصوف التي هي العقيدة الحقة عقيدة أهل السنة والجماعة ما نصه[1]: «اجتمعت الصوفيةُ على أنّ الله واحدٌ، فَرْدٌ صمدٌ، قديمٌ عالمٌ، قادِرٌ حيٌّ، سميعٌ بصيرٌ، عَزيزٌ عظيمٌ، جَليلٌ كبيرٌ، جوادٌ رؤوفٌ، متكبّرٌ جبّارٌ، باقٍ أوّلٌ، إلَـٰهٌ سيدٌ، مالك ربٌّ، رحمـٰنٌ رحيمٌ، مريدٌ حكيمٌ، متكلّمٌ، خالقٌ رزاقٌ، موصوفٌ بكل ما وَصَفَ به نَفْسَهُ من صفاته، مُسَمًّى بكلِّ ما سَمَّى به نفسه، لم يزلْ قديمًا بأسمائه وصفاته غَيْرَ مشبهٍ للخَلْق بوجه من الوجوه، لا يشبه ذاتُه الذواتِ ولا صفته الصفاتِ، لا يجري عليه شيءٌ من سِمَاتِ المخلوقين الدالّة على حَدَثِهِم، لم يزل سابقًا متقدمًا للمُحْدثَات، موجودًا قبل كل شيء، لا قديمَ غيره ولا إلـٰه سواه.

ليس بجسم، ولا شَبَحٍ، ولا صورةٍ، ولا شخصٍ، ولا جَوْهرٍ، ولا عَرَضٍ. لا اجتماعَ له ولا افتراق، لا يتَحركُ ولا يَسْكُن، ولا ينقصُ ولا يزدادُ ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاء، ولا جوارحَ ولا أعضاءَ، ولا بذي جهاتٍ ولا أماكن، لا تجري عليه الآفات، ولا تأخذه السِّناتُ، ولا تَدَاوَلُهُ الأوقات، ولا تعيِّنُه الإشارات لا يحويه مكانٌ ولا يجري عليه زمانٌ، ولا تجوز عليه المُمَاسَّةُ ولا العزلة، ولا الحلولُ في الأماكن، ولا تحيط به الأفكارُ، ولا تحجُبُهُ الأسْتارُ، ولا تدركه الأبصار.

---

(١) انظر الكتاب (ص/١٣).

وقال بعض الكبراء في كلام له: لم يسبقه قَبْلٌ، ولا يقطعه بَعْدٌ، ولا يصادره مِنْ، ولا يوافقه عَنْ، ولا يلاصقه إلى، ولا يَحُلُّهُ في، ولا يوقفه إذ، ولا يؤامره إنْ، ولا يُظِلُّه فوق، ولا يُقِلُّه تحت، ولا يقابله حذاء، ولا يزاحمه عِنْد، ولا يأخذه خلف، ولا يحدُّه أمام، ولا يُظْهِرُه قبل، ولا يفنيه بعد، ولا يجمعه كلّ، ولا يُوجِدُه كان، ولا يفقده ليس، ولا يستره خفاء. تقدَّم الحدثَ قِدمُهُ، والعدمَ وجودُهُ، والغاية أزلُهُ.

إن قلت: متى، فقد سبق الوقت كونُه.

وإن قلت: قبل، فالقبلُ بعده.

وإن قلت: هو، فالهاء والواو خَلْقُهُ.

وإن قلت: كيف، فقد احتجبت عن الوصف بالكيفية ذاتُهُ.

وإن قلت: أين، تقدَّمَ المكانَ وجودُهُ.

وإن قلت: ما هو، فقد بَايَنَ الأشياءَ هويتُهُ.

ولا يجتمع صفتان لغيره في وقت، ولا يكون بهما على التضادّ. فهو باطن في ظهوره، ظاهر في استتاره، فهو الظاهر الباطن، القريب البعيد، امتناعًا بذلك من الخلق أن يشبهوه.

فِعْلُهُ من غير مباشرة، وتَفْهِيمُهُ من غير ملاقاة، وهِدَايَتُهُ من غير إيماء.

لا تنازعه الهمم ولا تخالطه الأفكار. ليس لذاته تكييف ولا لفعله تكليف.

وأجمعوا على أنه لا تدركه العيون ولا تهجم عليه الظنون، ولا تتغير صفاته ولا تتبدّل أسماؤُه، لم يزل كذلك ولا يزال كذلك، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» اهـ.

وقال الغزالي في كتاب «الإحياء»[1]:

الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم من ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء ءاثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المعرف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد قديم لا أول له أزلي لا ابتداء له مستمر الوجود لا ءاخر له أبدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفًا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [سورة الحديد].

التنزيه: وأنه ليس بجسم مصوَّر ولا جوهر محدود مقدَّر وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودًا ولا يماثله موجود ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى] ولا هو مثل شيء.

وأنه لا يحدّه المقدار، ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السمٰوات، وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته. وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربًا

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٨٩).

إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعدًا عن الأرض والثرى، بل هو رفيع الدرجات[1] عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى. وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٢٠﴾ [سورة المائدة]. إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا يماثل ذاته ذوات الأجسام.

وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان، كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان. وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته، وأنه مقدس عن التغيير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيًا عن زيادة الاستكمال. وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالأبصار نعمة منه ولطفًا بالأبرار في دار القرار وإتمامًا منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم» اهـ.

وسأل السيد ممهدُ الدولة عبدُ الرحيم السيدَ أحمد الرفاعي قدس سره، فقال له: الناس يسألوني عن عقيدتي فما أقول لهم؟ فقال قدس الله تعالى روحه: (أي عبد الرحيم) اعلم أن كل ما عدا الخالق فهو مخلوق، والليل والنهار والضوء والظلام، والسمٰوات السبع وما فيها من النجوم والشمس والقمر والأرض وما عليها من جبل وبحر وشجر، وأنواع النباتات وأصناف النبات والحيوانات والضار منها والنافع لم يكن شيء من ذلك إلا بتكوين الله، ولم يكن قبل تكوين الله الأشياء أصل ولا شيء من ذلك إلا بتكوين الله، ولم يكن قبل تكوين الله الأشياء أصل ولا مادة، وكذلك

(١) معناه: عالي الدرجات أعلى من كل شيء قدرًا.

الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة والإنس والجن والشياطين لم يكن منها شيء إلا بتكوين الله تعالى وكذا صفات هذه الأشياء من الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والأطعام والمشروب والروائح والجهل والعلم والعجز والقدرة والسمع والصمم والبصر والعمى والنطق والبكم والصحة والسقم والحياة والموت، كل ذلك من مخلوقات الله تعالى.

وكذلك أفعال العباد واكتسابهم من الأمر والنهي، والوعد والوعيد كل ذلك من مخلوقات الله تعالى خلق كل شيء، وكل ما لم يكن مخلوقًا وسيخلق فهو من مخلوقات الله تعالى لقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم ﴿٣﴾﴾ [سورة فاطر].

والله تعالى خلق كل شيء حكمة بالغة علم العباد أو لم يعلموا لقوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأنبياء]. يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. الطاعات والمعاصي بقضاء الله تعالى وقدره وعبادته بإرادته ومشيئته، فإن الطاعة مقدرة من الله تعالى بقضائه وقدره، وكذا المعصية والمعاصي مكونة مقدرة بقضاء الله تعالى وقدره ومشيئته، لكنها ليست برضائه ومحبته ولا بأمره، وما أراد الله أن يكون كان بلا محالة طاعة أو معصية، وهذا معنى قولنا ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فمن هداه الله تعالى خلق الله فيه فعل الاهتداء، ومن لم يهده لم يهتد، وكل ذلك بمشيئة الله تعالى كما قال: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴿٣١﴾﴾ [سورة المدثر].

والله تعالى يعطي العبد كما يريد[1] سواء كان فيه صلاح العبد أو فساده، وغاية صلاح العبد ليست بواجبة على الله تعالى، بل إن

---

(١) أي كما يشاء الله تعالى.

كان فيه صلاح كان منه إحسانًا وتفضلًا، وإن لم يكن ذلك كان منه عدلا. فله الفضل والحمد. ومقدور الله لا نهاية له، والطاعة والإيمان توفيق من الله بمعونته سبحانه وتعالى، وكذلك المعاصي والكفر فهي بقضائه وقدره.

والله تعالى قديم ليس لوجوده ابتداء، وباق ليس لبقائه انتهاء، حي لا بروح عالم لا بقلب وفكرة قادر لا بآلة سميع لا بأذن بصير لا بحدقة متكلم لا بلسان، إلٰه في الأزل[1].

والحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والخلق وهو التكوين صفات، وصفاته قائمة بذاته والله تعالى قديم بصفاته وليس شيء من صفاته محدَثًا.

وكلامه[2] ليس من الحروف والأصوات، بل الحروف والأصوات عبارة عن كلامه ودلالة عليه، والقرءان كلام الله تكلم به البارئ جلت عظمته قبل خلق المخلوقين جميعًا، وهو مقدس ومنزه عما يقول المبتدعون والظالمون والجاحدون. كتاب بيَّن الله فيه لعباده الحلال والحرام والوعد والوعيد والضر والنفع، وهو الفرقان المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

والله تعالى كان ولا مكان، ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا على مكان ولا في مكان، بل كان جلت عظمته ولا زمان ولا مكان، ورفع الأيدي إليه في الدنيا إلى السماء تعبدًا لا بمعنى أنه متحيّز في السماء بل كالتوجه إلى الكعبة في الصلاة، فالكعبة قبلة الصلاة، والسماء قبلة الدعاء، والله تعالى ليس بصورة، وكل ما

---

(١) أي أنه قديم لا بداية لوجوده.

(٢) يعني القائم بذاته.

تصور في فهمك ووهمك فالله تعالى خالقه ومكونه والله تعالى لا يشبه شيئًا مما خلق ولا يُشبه ذاته ذات المخلوقين ولا صفاته صفات المخلوقين كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى].

والله تعالى واحد أحد فرد صمد لا شريك له ولا وزير له ولا شبيه له ولا ضد له ولا ند له ولا نظير له ولا مثيل له ولا أول له ولا ءاخر له ولا ولد له ولا والدة له ولا والد له وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم وعلى كل شىء قدير. عالم بأمور خلقه من مبتداهم إلى منتهاهم. وكل مخلوق بخلقته شاهد على أنه لا إلٰه إلا هو الرحمٰن الرحيم.

وأن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وأمينه وخيرته من خلقه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون سيد المرسلين وإمام الثقلين وخاتم النبيين ﷺ، وأن الله أرسل من قبله رسله أولهم ءادم وخاتمهم محمد ﷺ. وكلهم جاؤوا بالحق وتكلموا بالصدق وبلغوا الرسالة وصدقوا فيما بلغوا عن ربهم عزَّ وجلَّ.

وكل ما أنزل عليهم من الكتب والصحف حق، وأن محمدًا ﷺ خاتِمُ الرسل ولا نبي بعده، وأن الرسل كلهم على حق وأن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل في ءاخر الزمان يكون على شريعة محمد ﷺ كواحد من أمته داعيًا إلى دينه وسنته، وأن المعراج حق، أُسري بالنبي ﷺ بنفسه وشخصه في ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس على ظهر البراق، ثم عرج إلى السماء حيث شاء الله.

وأن الصالحين مع علو منزلتهم وقربهم من ربهم لا يسقط عنهم شىء من الفرائض والواجبات من الصلاة والزكاة والحج والصيام وغير ذلك. ومن زعم أنه صار وليًا وسقطت عنه الفرائض فقد كفر

فإنه لم يسقط ذلك عن الأنبياء فكيف يسقط عن الأولياء، وأن الولي كبقلة تحت شجرة، ولقد قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه فقيل له: ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: **«أفلا أكون عبدًا شكورًا»**.

وإيمان العبادة وهو تصديق بالقلب، وهو على طريق الاختيار والخبر والتصديق لله في جميع ما أنزل على أنبيائه عليهم السلام وجميع ما بلغوا عن الله عز وجل، ويدخل ذلك كله تحت هذه العبادة وهي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبما أنزل الله على رسله. والركن هو تصديق القلب ويصير العبد مؤمنًا بينه وبين الله تعالى بالتصديق المجرد - أي عن الشك - والإقرار باللسان، وأن الإيمان يزيد وينقصُ والإيمان والإسلام واحد، وكل مسلم مؤمن.

وأن عذاب القبر حق، وأن منكرًا ونكيرًا حق وسؤالهما حق، وأن البعث حق والعرض حق، والحساب حق، وأن الجنة ونعيمها حق، والنار وعذابها حق، وأهل الجنة يرون ربهم بعينهم من غير إدراك ولا إحاطة ولا كيفية ولا مقابلة ولا على مكان، ولا في جهة من الجهات الست، وأن قراءة الكتب أي في الآخرة حق، يؤتى المؤمن كتابه بيمينه والكافر بشماله والميزان حق والصراط والشفاعة للنبي ﷺ حق وشفاعة المؤمن حق، ومحبة أصحاب رسول الله ﷺ حق، وكلهم على هدى.

وأن أبا بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ وخليفته حق، وبعده خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حق، وبعده خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حق وبعده خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه حق، وهؤلاء كلهم خلافتهم حق.

وأفضل الخلق[1] بعد نبينا محمد ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين فهذا اعتقادنا ومذهبنا فمن خالفه وقال غير ذلك لا برهان له والله بريء منه.

ثم قال (أي عبد الرحيم): اجعل هذا اعتقادك واعتقاد من تعلق بكم فهذا اعتقاد الأنقياء من السلف رحمة الله عليهم أجمعين فهذه العقيدة توافق ما اتفق عليه المسلمون على اختلاف مذاهبهم». اهـ من كتاب المجالس الرفاعية.

(١) أي في هذه الأمة.

تنبيه المتهوّر العَيِيّ
في تبرئة ابن عربيّ

الشيخ محيي الدين بن عربي قدس الله سره العزيز هو من أكابر العارفين بالله المتمسكين بالسنة الشريفة، ومن العلماء العاملين والصوفية الصادقين الزاهدين ومن المسندين المعتدّ بهم عند حفاظ عصره كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان[1]. وقد شهد له كل العلماء والأولياء الصالحين من وقته إلى هذا الزمان بالولاية والمعرفة الذوقية الصافية في علوم القوم رضي الله عنهم، ورضي الله عنه حيث يقول مقولة تكتب بماء الذهب على جبين التاريخ لتشهد له على مدى عمقه وعرفانه بعلم التوحيد ولتكون ردًّا حاسمًا وصاعقة حارقة لمن دس عليه الأباطيل الملفقة والكلمات المليئة بالحلول والاتحاد والزندقة وهذه الجملة المباركة هي: «لا موجود بذاته إلا الله» فوالله إنها لدرة نفيسة من جواهر علم التوحيد.

ومما ينسبه زورًا وبهتانًا الحلوليون الزنادقة إلى الشيخ محيي الدين قولهم إن الله خلق الخلق من أصل هو عينه.

فانظر يا أخي المسلم بعين الفهم والعلم إلى هذا الكفر الصريح الذي يصادم ءايات الله تعالى: يقول جل شأنه:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾: واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا يقبل التعدد والتكثر.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾: المستغني عمن سواه، وكل ما سواه محتاج إليه.

---

(١) انظر الكتاب (٥/٣٥٣).

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾: نفي للمادية والانحلال وهو بمعنى أن ينحل فيه شيء أو يحل في شيء.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾: ولم يكن له مشابه أو مماثل أو مشاكل أو ند.

فقولهم هذا يصادم عقيدة التوحيد ويخالف القرءان ولا ينزه الله عن صفات المحدثات، فهو كفر بواح صريح لا يقبل التأويل إطلاقًا، ويفهم منه أن هذه الكائنات بما فيها من جمادات وبهائم وإنس وجن هي عين ذات الله وقد حلّ فيها والعياذ بالله تعالى، وهل يتكثر ويتحول ويتبدل ويتطور إلا المخلوق الحادث، أما الله فمستحيلة عليه هذه الأوصاف المحدثة المخلوقة، يقول جل شأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى]. ويقول أيضًا: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [سورة مريم] فالآيات تشير إلى تنزيه الله عن سمات المخلوقين وعوارضهم يقول النبي عليه السلام: «كان الله ولم يكن شيء غيره» رواه البخاري. ويقول سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه في نفي الأمكنة والحلول فيها عن الله «كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان» كما ذكره شمس الدين الرملي في فتاواه. ويقول السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه «غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان» في كتاب الحكم.

وقال أحد العلماء في نفي المكان والأين عن الله عندما سأله أحدهم عن ءاية ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] فأجابه بقول: إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية ـ أي لا تعرف حقيقة روحك ـ فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه تعالى بأين وكيف وهو مقدس عن ذلك» اهـ.

ولا حجة لهم في استشهادهم بهذه الآية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ

﴿٤﴾ [سورة الحديد] إذ ليس المقصود منها أن الله يحل في الأماكن فحاشاه وتنزه عن ذلك، وقد بين تفسيرها إمام الصوفية السيد الجنيد رضي الله عنه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ ﴿٤﴾﴾ أي بالعلم والإحاطة. أي يعلم بكم أينما كنتم، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة ق] أي أعلم بنفس الشخص من نفسه بنفسه فالله سبحانه مع الأنبياء والأولياء بالنصرة والكلاءة والحفظ، ويقول سيدنا علي الخواص شيخ الإمام الشعراني رضي الله عنهما: «لا يجوز أن يقال إن الله موجود في كل مكان» نقله الشعراني في اليواقيت والجواهر. وهذا الكلام المتناقل على ألسنتهم ليس بحديث يجعلونه حديثًا قدسيًّا وهو: «ما وسعتني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»[1] بل هو مما نقله وهب بن منبه وقد كان يهوديًّا ثم أسلم وأخذه من بعض الكتب القديمة ومعناه على التأويل صحيح وليس على ظاهره «ان قلب المؤمن التقي وسع من معرفة الله وخشيته ما لم تسعه السمٰوات والأرض».

وقد كتب الشيخ محيي الدين قدس الله سره العزيز عقيدته في بداية الجزء الأول من الفتوحات المكية في دحض أباطيل الدساسين الماكرين عليه بقوله: «لا يحده زمان ولا يقله مكان بل كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان خلق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان وقال أنا الواحد الذي لا يؤوده حفظ المخلوقات ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها». وسيأتي بيان ذكر عقيدته في ءاخر الكتاب إن شاء الله تعالى لتكون مسك الختام في دحر أقوال الذين ألصقوا به كفرياتهم بالزور والبهتان ولا علم له بذلك.

---

(١) قال ملا علي القاري في «الأسرار المرفوعة» ص/٢٠٦: «ذكره في «الإحياء» وقال العراقي: لم أر له أصلًا»، ثم قال: «ومعناه وسع قلبه ـ أي العبد المؤمن ـ الإيمان بي وبمحبتي وإلا فالقول بالحلول كفر، وقال الزركشي: وضعه الملاحدة».

دَسُّهم على أبي يزيد البَسطامي

ومن أباطيلهم الملفقة ما ينسبونه إلى العارف المكين العالم الأصولي الزاهد، نسيج حاله وفريد دهره صاحب الأسرار الربانية سيدنا الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس الله سره السامي قولهم: «الجنة ملعبة الصبيان» و«سبحاني ما أعظم شأني» وغيرها من الأكاذيب فحاشاه أن يتكلم بمثل هذا الكلام القبيح لأنه من المتمسكين بآداب السنة الشريفة حالا وقالًا وفعلًا وقد كان في زمنه رجل «بقومِس» مشهور بالورع والزهد، فقال يومًا أبو يزيد البسطامي لأصحابه: قوموا بنا ننظر إلى الرجل الذي شهر نفسه بالولاية فمضوا معه، فلما خرج الرجل من منزله ودخل مسجده رمى ببزاقه نحو القبلة فقال أبو يزيد: «قوموا بنا ننصرف من غير أن نسلم فإن هذا الرجل ليس بمأمون على أدب من ءاداب الشريعة التي أدّب بها رسول الله ﷺ فكيف يكون مأمونًا على ما يدعيه من مقامات الأولياء الصديقين»، وقال أيضًا: «لو نظرتم إلى رجل يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة»[١] اهـ.

فحاشا أبا يزيد البسطامي وأي ولي لله تعالى أن يقول ما يصادم الشريعة الغراء وهو في صحوه التام أما إذا غلب على أمره وأخذ عن نفسه فغاب بحاله عن حسه فلا يؤاخذ ولكن لا يقلد ولا يقبل كلامه ولا يدون، وقد بين هذه الحالة الولي الكبير الشيخ محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي رضي الله عنه في كتابه «أشرف الوسائل في تحقيق أدق المسائل»[٢] في بيان معنى فناء واستغراق

(١) الرسالة القشيرية (ص/ ١٥).

(٢) انظر الكتاب (ص/٢١٧).

سيدنا أبي يزيد في محبة الله وذكره فيقول: وقال ابن شهريار قدس الله روحه: استغرق البسطامي في ذكره وتلاوته فكرر الكلمات بالتلاوة فظنها سامعها أنها من كلامه ومن نسج مقامه فزلق، وتلك كمن أخذته جاذبة استغراق حالة تلاوة قول الله تعالى في سورة طه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴿١٤﴾﴾ [سورة طه] الآية فغاب عنه وأخذ منه وكرر قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴿١٤﴾﴾ تلذذًا بكلامه سبحانه وإعظامًا لقدسه وإجلالا لسلطانه، فذهب السامع فيه إلى ما ذهب وحقيقة الأمر لم تكن كذلك، وهذا تأويل حسن ومعنى رشيق، ومع ذلك فإذا رأينا من حال القائل طورًا أو سمعنا كلامًا لا ينطبق على هذا التأويل نشأ عن سكر أرجعناه للقاعدة الأولى فقلنا لا يؤاخذ هذا القائل لأجل قوله لأنه في حال غيبة، غير أن كلامه لا يعتبر ولا يعبأ به بل لا يدون أو ينقل ولا يقتدى بقائله فيه، والقول به من مزالق الأقدام والعياذ بالله وحسبنا الله» اهـ.

وقد سأل أحدهم الشيخ محمدًا الحامد رحمه الله عن كلمات الشطح التي وقع عليها في بعض الكتب في رسالة بعثها إلى الشيخ فكتب إليه ـ رحمه الله تعالى ـ ما يلي:

«إن من أدب المريد أن لا يسبق علمه ذوقه، فلا يتكلف معرفة منزلة قبل أن ينازلها ويبلغها، وإن تكلف ذلك فقد يفهم غير مراد القوم من كلامهم فيضل، وهم منعوا غيرهم ممن لم يبلغ منازلهم من مطالعة كلماتهم وقراءة كتبهم لهذا الملحظ، إذ هو بين أن يكفرهم إن أساء بهم الظن، وبين أن يتابع فهمه السيء الذي لم يريدوه فيفسد اعتقاده، ويعزب عنه رشاده. وبعض ما في كتبهم مدسوس عليهم، وقد نبه العلماء عليه وبينوا دسه، وإن لدينا فيما نسب إليهم ميزان الشريعة، فكل ما لم يقبل التأويل بوجه صحيح فهو مدسوس عليهم.

وإني ءاخذ نفسي ومن لقنته طريق السادة النقشبندية بالامتناع من مطالعة الكتب التي ألفها القوم لأنفسهم ولأمثالهم، أخذتهم ونفسي بهذا حرصًا على سلامة الاعتقاد، وإبقاء على حسن الظن بالقوم رحمهم الله تعالى.

وعلى هذا، فلن تجد عندي جوابًا لما سألتني، وإني أرى الاشتغال بالتفسير والحديث والفقه أجدى علينا وعلى الأمة من الاشتغال بهذه الدقائق التي قل أن يخرج المشتغل بها سليمًا إن كان من المبتدئين.

ولقد أفاد وأجاد كثيرًا السيد الرواس ـ رحمه الله ـ في كتابه «بوارق الحقائق» في كلامه عن الشطح والشطاحين والتحذير منهم، فمن نثره قوله: «وبويعت في الحضرة على نصرة سنة النبي العظيم، وقمع البدعة الهادمة لمنار العقائد الإسلامية التي قال بها جهلة المتصوفة: كالشطحات التي تتجاوز حد التحدث بالنعمة، والقول بالوحدة المطلقة، والاشتغال بالكلمات السائقة إلى هذا الباب..».

وقال أيضًا: «وخلاصة ما أجمع عليه العارفون أن الشطح هضمة جموح، وضجة دعوى، ونهزة تجاوز، ومفارقة حق، وانصراف مع هوى، وهو ـ أعني الشطح ـ نقص لا يجتمع معه كمال، وإدلال لا يفارقه الإذلال، وبينه وبين التحدث بالنعمة أهوال، وكم من كلمة شطح سرت، وكتبها أهل النقص في كتبهم؛ ظنًا بأنها من مقام التحدث بالنعمة، وهي عند الله من سوالب النعمة، والعياذ بالله تعالى.. ومن شعره في هذا الموضوع:

همم تطرَّقها الزلل
وطوى عزائمها الخلل

سبحت بموجات الهوى
غيًّا على شوط الأمل

فـــالـــزمْ طـــريـــق الـــمـــصـــطـــفـــى
واطـــرح أبـــاطـــيـــل الـــحـــيـــل
واهـــجـــر صـــنـــوف الـــشـــطـــح
إن الـــشـــطـــح داعـــيـــة الـــزلـــل
واقـــطـــع صـــنـــيـــع عـــلائـــق
الـــشـــطـــاح واهـــجـــر مـــا فـــعـــل
هـــو واهـِـــمٌ إن لـــم يـــزلَّ
فـــكـــل مـــن يـــتـــبـــعـــه زل

«بوارق الحقائق»

ويؤكد تحذيره من مثل هؤلاء فيقول: «ولا يغرنك حال بعض الأدعياء في طريق الله تعالى ممن يزعم أنه على شيء وهو ممن فارق السنة والجماعة واتخذ الزيغ والإلحاد والشطح الكاذب له رأس مال وزبدة بضاعة، فأولئك من الممقوتين المردودين: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [سورة البقرة]. رفرف العناية» انتهى من كتاب الشيخ محمد الحامد.

ويقول السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه في كتاب «البرهان المؤيد»[1]: «أي ولدي» إذا سمعت كلام أهل الحضرة فإنه ظاهر غامض تكلم سيد أهل الحكمة والبيان وأفصح نوع الإنسان ﷺ بجوامع الكلم فأوجز وأفصح، وأوضح وأغمض، وهكذا ورائه وأتباعه. لا تحرد مني يا أخي كل ما حام حول فكرك من رؤيا نفسك، ومالك وحسبك ونسبك وبلدك وزوجك وولدك ومزيتك فهو خاطر إن قابلته بالخضوع والذل والحمد والشكر والمسكنة

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٨٤).

انقلب فتحًا. وإن قابلته بالعزة والكبر والاستعلاء والغفلة انقلب قبحًا ووسواسًا وقطيعة. فتدارك نفسك وأصلح شأنك. إذا انقطعت عن عبادة سيدك تبكي عليك الأرض التي عبدت الله عليها، وكأنها تودُدًا إليك وأسفًا عليك تقول قول القائل:

وكــنــت أظــن أن جــبــال رضــوى
تــــــزول وأن ودك لا يـــــــزول
ولــكــن الــقــلــوب لــهــا انــقــلابٌ
وحــالات ابــن ءادم تــســتــحــيــل

فإذا كانت الأرض تحن عليك، وتود سوق الخير إليك، فكيف بك؟ هذا الشأن أولى لك. وأنت لو فقهت أولى به «بلغني» عن بعض إخواننا رجال العصر أنه يقول:

عـقـدت بـبـاب الـديـر عـقـدة زنـاري
وقلت خذوا لي من فقيه الحمى ثاري

يريد بذلك معاني أخرى.

إياكم والقول بمثل هذه الأقاويل حسن الظن يلزمنا بسيدنا الشيخ، ولكن أدبنا مع الدين ألزم، ووقوفنا مع الحق أهم. لا نعقد الزنار ولا نمر على باب الدير، ونقبل يد الفقيه ورجله، ونطلب منه علم ديننا ونقول: طلب الشيخ مقاصد سترها بهذه الألفاظ، وليته لم يطلبها ولم يسترها، ويقول عوضًا عما قال:

حـلـلـت بـبـاب الـشـرع عـقـدة زنـاري
وطـهـرت بـالـفـقـه الإلـهـيّ أسـراري
ومـا الـديـر والـزنـار إلا ضـلالـة
ومـا الـشـرع إلا الـبـاب لـلـوصـل بـالـبـاب

«ومعنى ذلك باب يوصل إلى باب الحقيقة».

«نعم» حالة أهل الحب تأخذ القلب، فيطيش العقل، فيتكلم اللسان كلام من جُن أو خمر. أو غلى دمه أو غشي عليه. فدعوا الرجل وربه وهذا يكفيه منكم وتمسكوا بالحبل المتين الذي من تمسك به لن يضل أبدًا.

هذه الكلمات ومثلها من الشطحات التي تتجاوز حد التحدث بالنعمة مثل صاحبها كمثل رجل نام في بيت الخلاء فرأى في منامه أنه جلس على سرير سلطنة فلما استيقظ خجل وعرف مكانه. اللَّهَ اللَّهَ بالوقوف عند الحدود. عضوا على سنة السيد العظيم بالنواجذ.

مـــا لــــي وألــــفــــاظ زيــــد
ووهـــم عـــمـــرو وبـــكـــر
وجـــه الـــشـــريـــعـــة أهـــدى
مـــن ســـر ذاك وســـري» اهـــ

ويقول سيدنا محمد بهاء الدين الصيادي الرفاعي المشهور بالرواس رضي الله عنه في كتاب «الكليات الرفاعية ـ رقيقة رواسية»[1]: «لا تعتبر كلمات الصوفية المنقولة عنهم إلا إذا وافقت مضامينها سنة النبي المكرم ﷺ ولم تباين سيرة ءاله الأعيان، وأصحابه نجوم العرفان ـ عليهم أتم التحية وأجل الرضوان ـ وإذا رأيت في كتبهم كلمات عزاها إليهم عازٍ فاعرضها على الكتاب والسنة وقسها على سيرة السلف الصالح إن كانت من الأقوال أو من الأفعال فإن وجدتها موافقة للكتاب والسنة أو مطابقة لسيرة السلف أو قابلة للتأويل الحسن الذي لا يصادم حكمًا، ونزه القوم

(١) انظر الكتاب (ص/ ٨٠).

أهل الله عن الذي يسنده إليهم أرباب الهفوات الكاذبة، والمقاصد الخائبة، وتحقق بالأدب معهم فهم طائفة حق لا ينحرف أحدهم عن الحق والله المعين».

ويقول شعرًا في ذلك:

وما كل أهل الله إلا طوائف
تؤول لطه صاحب المدد الأجلى
ومن لم يكن يرجع إليه مضلل
ومن يتبع الضلّيل في نهجه ضلا
وإياك من زعم الحلول ووهمه
ووحدة قول ساء قائلها فعلا
وأول شطوحات الرجال وإن نأت
فلا ترضها في كل معمعة أصلا
وسلم لأهل الحال في الله حالهم
وإن خالفوا الهادي فقد أحدثوا بطلا
ففرض مباح مستحب وباطل
حرام ففصل ضمن أحكامها المجلى
وكل مقام فاعطه حكم حاله
إذا رمت أن تُدعى لأهل السما خِلا
فهذا طريق ابن الرفاعي شيخنا
أبي العلمين الغوث ذي المشرب الأحلى

وقد كتب أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه كتابًا إلى الشيخ الأجل عبد السميع الهاشمي الواسطي قدس الله سره العزيز يوصيه

به قال فيه[1]: «إياك والقول بالوحدة التي خاض بها بعض المتصوفة»، «إذا رأيت الرجل يطير في الهواء فلا تعتبره حتى تزن أقواله وأفعاله بميزان الشرع، إياك والإنكار على الطائفة في كل قول وفعل سلم لهم أحوالهم إلا إذا ردّها الشرع فكن معه» اهـ.

(١) كتاب سماع وشراب عند أشرف الأقطاب (ص/ ٧٨).

التحذير من كتاب مولد العروس

وليحذر من كتاب مولد العروس فإنه مدسوس على الحافظ ابن الجوزي ليس من تآليفه ومن أقبح ما فيه هذا القول: «إن الله قبض قبضة من نوره فقال كوني محمدًا فكانت محمدًا»، نعوذ بالله من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ذلك لأن هذه الجملة القبيحة تعطي أن الله ضوءٌ نوراني فأخذ منها قبضة قطعها من نفسه وقال لها كوني محمدًا فكانت، تعالى الله عن قولهم الدنيء الحلول والجزئية تعالى الله عنهما، فالله سبحانه وتعالى قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] وقال الإمام ذو النون المصري رضي الله عنه في بيان هذه الآية المحكمة لدحض الشبه عن عقول الناس توجيهًا وتعليمًا لهم: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» وقد نقله الحافظ الخطيب البغدادي بإسناده فهي من درر علم التوحيد وقاعدة أصولية نفيسة على كل مسلم أن يحفظها وينقشها في سويداء قلبه حتى لا يدع لأبالسة الجن والإنس منفذًا يردونه في الهاوية لأن عقيدة المسلم هي أثمن ما لديه في الوجود فبها يدخل الجنة.

فإذًا وجب عل كل مسلم عاقل أن يتلف كتب المولد التي فيها مثل هذا الكلام الكفري الذي هو أن النبي جزء من نور متصل بذات الله المصادم للقرءان والسنة الشريفة. فقول قبض قبضة من نوره فقال كوني محمدًا فكانت ترده ءاية ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف] وكل شيء يناقض القرءان كفر.

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الله ذات واجب الوجود أزلي لا بداية لوجوده وأبدي لا نهاية لوجوده، فليس بنور بمعنى الضوء.

ولا حجة لهم فيما يغالطون به في تفسير ءاية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۝٣٥﴾ [سورة النور]. وذلك لقصر عقولهم وانحجاب قلوبهم عن جادة الحق، فالآية تعني كما فسرها ترجمان القرءان ابن عباس رضي الله عنهما: «يقول الله سبحانه وتعالى هادي أهل السمٰوات والأرض مثل نوره مثل هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا مسته النار ازداد ضوءًا على ضوء كذلك يكون قلب المؤمن يعمل الهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا أتاه العلم ازداد هدى على هدى ونورًا على نور.

وقال أبو سليمان فيما أخبرت عنه: ولا يجوز أن يتوهم أن الله سبحانه وتعالى نور من الأنوار فإن النور تضاده الظلمة وتعاقبه فتزيله وتعالى الله أن يكون له ضد أو ند»[1] اهـ.

فالله سبحانه وتعالى هادي أهل السمٰوات والأرض من أهل الإيمان إلى نور الإيمان ويفسرها ما في ءاخر الآية ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۝٣٥﴾ [سورة النور] أي يهدي الله لنور الإيمان من يشاء. فليس معنى النور في الآية كضوء الشمس أو القمر والكواكب والنجوم تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، ويصح تفسيرها بمنير السمٰوات والأرض، وقد بين الصوفي العالم الجليل الشيخ عبد الغني النابلسي أن من اعتقد أن الله نورًا ضوئيًّا يكفر لأنه شبه الله والله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى] فيقول في كتابه الفتح الرباني[2]: «وأما أقسام الكفر فهي بحسب الشرع ثلاثة أقسام ترجع جميع أنواع الكفر إليها وهي التشبيه والتعطيل والتكذيب وهي أصول ثلاثة من أصول الكفر لا يدخل الإنسان في مرتبة عوام المسلمين إلا بعد تبرئته منها ظاهرًا وباطنًا، ومن وجد عنده شيء

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (ص١/١٤٣ ـ ١٤٤).

(٢) الفتح الرباني والفيض الرحماني (ص/ ١٩٠ ـ ١٩١).

منها فليعلم أنه كافر وليس مؤمنًا ولا يغره بالله الغرور. النوع الأول: التشبيه: التشبيه هو الاعتقاد بأن الله تعالى يشبه شيئًا من خلقه كالذين يعتقدون أن الله تعالى جسم فوق العرش أو يعتقدون أن له يدين بمعنى الجارحتين، وأن لله الصورة الفلانية أو على الكيفية الفلانية؛ أو أنه نور يتصوره العقل؛ أو أنه في السماء ـ بمعنى السكن ـ أو في جهة من الجهات الست، أو أنه في مكان من الأماكن أو في جميع الأماكن أو أنه ملأ السمٰوات والأرض، أو أنَّ له الحلول في شيء من الأشياء أو في جميع الأشياء أو أنه متحد بشيء من الأشياء أو بجميع الأشياء أو أن الأشياء منحلة منه، أو أن شيئًا منحل منه. وجميع ذلك كفر صريح. والعياذ بالله تعالى. وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه» اهـ.

ومما يرد هذا القول قول الله تعالى ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۝١﴾ [سورة الأنعام] أي خلق الظلمات والنور، فكيف يعقل أن يكون نورًا بمعنى الضوء ثم يخلق النور تعالى الله عن العرض والجوهر عن المحدثات ولوازمها وصفاتها، كما لا يجوز تسميته باللطيفة النورانية كما زعم بعض، إذ لو كان نورًا بمعنى الضوء لما صحت له الألوهية إذ الإلٰه يستحيل أن يشاكله أو يشبهه شيء أو يحل في شيء أو ينحل منه شيء. والقرءان يفسر بعضه بعضًا فاسم الله النور في الآية بمعنى الهادي أو المنير لا غيره، والمعلوم أن كل ما سوى الله مخلوق محدث فلا يجوز تشبيه اسم الله النور «الهادي» بنور الشمس أو القمر فذلك مناقضة للقرءان الكريم.

وقد حدثت قصة في بيروت[1]: عندما كان الشيخ محمد الحامد رحمه الله نزيلًا في مستشفى المقاصد الخيرية الإسلامية للمعالجة

---

(١) أعلام المسلمين الشيخ محمد الحامد رحمه الله (ص/ ٦٠).

أن زاره أحد سالكي الطرق فقال للشيخ جهلًا منه: «إن النبي ﷺ نور خِلقة» معتقدًا بهذا زيادة في شرفه ﷺ، فاستتابه رحمه الله تعالى عن ذلك الاعتقاد وجدد له إيمانه وعقد نكاحه، بعد أن أخبره بأن هذا القول كفر وأن النبي ﷺ إنما هو بشر خلق من تراب لكن النور يتخلل جسده الشريف حسًا ومعنًى.

وأخبرني أحد العلماء أنه كان أحد مشايخ هذه الفئة الحلولية يخطب على المنبر فوصل بقباحة كفره إلى أن قال: «أنا جزء من الله» فألهم الله أحد العوام المستمعين للخطبة فقال له: نحن نعرفك من أين أنت؟ أنت خرجت من المخرج الذي يخرج منه المولود وقالها بالعامية وهي أجرح وأوقع تقريعًا بالنفس فخرس الخطيب على المنبر وتسمر مكانه كأنه خشبة مسندة فبهت الذي كفر فأدهش هذا العامي المستمعين في سرعة خاطره وبديهته وتقريعه لهذا الحلولي الوقح.

وينبري لهؤلاء الدجاجلة في دحض أقاويلهم السفيهة الإمام الرفاعي الثاني المشهور بالروّاس ناصحًا لوارثه المحمدي الشيخ أبي الهدى الصيادي رضي الله عنهما في كتاب فصل الخطاب فيما تنزلت به عناية الكريم الوهاب في رده على أهل الحلول والوحدة المطلقة[1]: «مما لا يلتفت له» التشدق بما أبهمه وأوهمه المبتدعة أهل الوحدة المطلقة من الأباطيل الملفقة والأناسيج الممزقة والتراكيب الفاسدة والتأويلات الباردة في كل ذاتي أو صفاتي، وعلى كل نوع ملكي أو ملكوتي، وفي كل انطلاق إبداعي أو اختراعي، ومع كل مشهد فنائي أو بقائي، الحادث حادث والقديم قديم تعالى الله عما يصفون وتنزه عما يقولون، وإن الميل ـ ولو

(١) انظر الكتاب ص(٢٠٣).

على وهلة تردد إلى أقوالهم من مزالق الأقدام الدافعة والعياذ بالله ـ إلى النار، وكل ما لفقوه وانتحلوه باطل محض مردود في كل كتاب لله أنزل على كل نبي لله، فكل فلتة من فلتات ألسن القائلين بالوحدة المطلقة فيها قطيعة.

وسبب هذه المزالق وارتكاب هذه البوائق الانكباب على كلمات القوم أصحاب الاستغراق الذين انقطعوا عنهم وعن الأكوان إلى الله تعالى فأوهموا بما أبهموا من الكلمات عقول أهل النقص، وأوقعوا بخواطرهم هجس الوحدة، وإن المنكبين على كلامهم قبل الوصول إلى مقامهم لا بد أن تزل بهم أقدامهم، لما يشارفهم من طوارق الكلام، من نسق عبارة بديعة قائلة بالوحدة لا يقدر على رفعها عن الذهن الفاتر ولا يتمكن من صرفها عن الخاطر الحائر، من كان قليل البضاعة قاصر التصرف ولهذا حرَّم القوم مطالعة كتب الشيخ محيي الدين وأضرابه قبل التمكين، وردوا أقوال ابن سبعين، وسدوا الباب على العفيف وكلماته، وعلى ابن الفارض وأحدوثاته وإن يكن لكل وجهة ولكل جملهم معان مفصلة وكلمة الله هي العليا».

ويقول أيضًا في الرد عليهم: «وإن أوهم قوله جمع ذات أو جمع صفات ولم يرفع بالقول علم التنزيه عن المجانسة والتقديس عن سمات المحدثات فهو ضال مبتدع بل يكفر والعياذ بالله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف] وأما ما تشابه على أهل الانحطاط عن مرتبة الفقه الإلٰهي من أرباب الانكباب على كلام القوم من كلام المتقدمين من أعيان السلف رجال الخرقة مثل الإمام الجنيد البغدادي رضي الله عنه حيث ينقل عنه قوله:

رق الـــزجـــاج وراقـــت الـــخـــمـــر

فـــتـــشـــابـــهـــا وتـــشـــاكـــل الأمـــر

فـكـأنـمـا خـمـر ولا قـدح

وكـأنـمـا قـدح ولا خـمـر

فهو من امتزاج طبع السالك بالذكر امتزاجًا استغراقيًّا يفنيه عن رؤيته حتى يرى انمحاقه في محبة مذكوره».

ومما وقفت عليه في هذا المقام من نفائس درر التوحيد عبارة العلامة المحدث شيخنا العارف بالله عبد الله الهرري في كتابه «التحذير الشرعي الواجب» ونصها[1]: «ومما يجب التحذير منه كتاب «مولد العروس» وهذا كتاب مجهول مؤلفه لم يُعرف من هو، ونسبه بعض الناس بلا دليل لابن الجوزي، وفيه هذه الكلمة القبيحة المفتراة والمنسوبة إلى كعب الأحبار «إن الله قبض قبضة من نوره وقال كوني محمدًا فكانت محمدًا» وهذا الأثر فيه إثبات أن الرسول جزء من الله لمن اعتبر هذا النور نورًا متصلًا بذات الله على زعمه، وإن اعتبره نورًا مخلوقًا لله يكون المعنى أن الرسول جزء من نور خلقه الله تعالى، وكلا الأمرين فاسد لا يصح. إنما الرسول خُلِقَ جسده من نطفة أبويه كغيره من الناس قال الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۝٦﴾ وأما روحه فلم يرد في القرءان ولا في الحديث أنه خُلِقَ من كذا، لكن الحديث الصحيح أن الله تعالى خلق كل شىء من الماء يُفهَمُ منه أن روحه خُلِقَ من الماء. فهؤلاء الذين يقولون إن الرسول خُلِقَ من نور وأن نوره أولُ خلق الله كان خيراً لهم أن يقولوا: «الرسول أفضل خلق الله» ويسكتوا عن ذاك الكلام.

(١) انظر الكتاب (ص/٢٨).

القصيدة القاصمة
لأشعارهم السوداء القاتمة

ومن أشعارهم الزنديقية المدسوسة على أولياء الله تعالى في كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم وغيره منها:

دع طرق الغي فالدنيا في
ما الكون إلا القيوم الحي

ومنها:

أنا أنت بلا شك سبحانك سبحاني
توحيدك توحيدي وعصيانك عصياني

ومنها:

سبحان من أظهر ناسوته
سر سناء لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرًا
في صورة الأكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه
كلحظة الحاجب بالحاجب

ومنها:

ما وحد الواحد من واحد
إذ كل من وحَّده جاحد

ومنها:

وما الكون في التمثال إلا كثلجة
وأنت لها الماء الذي هو نابع

فما الثلج في تحقيقنا غير مائه

وغيران في حكم دعته الشرائع

ومن الأبيات الشنيعة هذا الكلام:

يا رب جوهر علم لو أبوح به

لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي

يرون أقبح ما يأتونه حسنا

إني لأكتم من علمي جواهره

كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

وهذه الأبيات الثلاثة مدسوسة على الإمام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما وحاشاه أن يتكلم بهذه السفاهة التي تنبو عن الحق والصراط المستقيم وهو الذي قال: «سبحانك أنت الله لا تُحد ولا تُحس ولا تُمس ولا تُجس» رواه الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في «شرح الإحياء» بسند متصل إلى أهل البيت، وهو الذي كان إذا توضأ ارتعد واصفر من خشية الله فقيل له في ذلك فقال: أو لم تدروا بين يدي من أقف ومرة كان يصلي فسقط السقف بسبب الاحتراق فلم يشعر به بالمرَّة وأهله ينادونه ويصرخون لينتبه فما سمع كلامهم فلما انتهى من صلاته قال لهم: شغلت بنار جهنم عن ناركم.

ومن هذه القصائد الشنيعة هذا القول الكفري:

بذكر الله تزداد الذنوب

وتنطمس البصائر والقلوب

ومما ينسبونه زورًا وبهتانًا لسيدنا الإمام علي كرم الله وجهه هذا البيت:

أحـــطـــت بـــكـــل شـــيء

فـــكـــل شـــيء أراه أنـــت

حاشا أن يتفوه هذا الإمام العظيم بهذا الكلام لأنه يخالف قوله في التوحيد «كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان»، وقال فيما رواه عنه الحافظ أبو نعيم: «من زعم أن إلٰهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود».

ومن أشعارهم أيضًا:

هـذا الـوجـود وإن تـعـدد ظـاهـرا

وحـيـاتـكـم مـا فـيـه إلا أنـتـم

وأشعارهم في هذا المجال الكفري الشنيع كثيرة جدًّا لو أردنا بسطها لأخذت كتبًا ومجلدات.

وكذلك يقولون هذا القول الخبيث الكفري:

كـفـرت بـديـن الله والـكـفـر واجـب

لـدي وعـنـد الـمـسـلـمـيـن حـرام

ومنها هذه الأقوال الكفرية:

إذا ذكـرتـه بـالـجـد تـرى مـا لا تـراه

كـل مـا تـهـواه مـوجـود فـي ذات الله

يا خليلي قل الله وحده في الكثرة

لا تـرى مـا سـوى الله فـي كـل كـائـنـة

اثـنـان نـحـن وفـي الـحـقـيـقـة واحـد

لـــكـــن أنـــا الأدنـــى وأنـــت الأكـــبـــر

وهذه الأبيات موجودة في كتاب يسمى مزامير داود من جمع

بعض الدمشقيات ولهن وجود في بيروت وغيرها[1] يوهمن الناس بالتزام تغطية الرأس والساقين وإقامة صورة الصلاة أنهن دينات مؤمنات وهيهات هيهات من أين يكون لهن ذلك ومعتقدهن فاسد ولا يعتمدن الكتاب ولا السنة إلا ما أخذنه من شيختهن وعلامتهن أنهن يغطين الرؤوس ويلبسن كبوتًا طويلًا وجوربًا كثيفًا يغطي الساقين وينشدن أناشيد ملفقة منها في صحيفة ١١٠:

نحن لو كنا أينما كنّا

شيختنا معنا لا تضيعنا

نحن أحبابها وبأعتابها نرجوا جوابها لا تخيبنا شيختنا أعرف كيف تتصرف وبنا ألطف والنبيّ الأسمى خلتنا بطيش وبلذة عيش قلنا نبغي الليش والحبيب معنا.

ومن جملة مقالتهن: الله يهرب من الغرفة الوسخة إلى الغرفة النظيفة وهذه الجملة كفر صريح ولا تؤول، وكذلك يحرمن على الحائض الطبيخ، ومن عجائبهن قولهن التي تخرج كاشفة الرأس ينتقض وضوؤها، وإن الثوب الذي تلبسه المرأة في حال الحيض ينجس أي لو لم يصبه دم، وقولهن: لا تطبخ الحائض خوفًا من أن الطعام يتنجس، وينهين النساء أن يذهبن إلى الرجال لطلب العلم أي الشرعي حتى لو كان أبو بكر الصديق، وقالت إحدى المقدمات فيهن في بيروت: إنني أعلم كل واحدة في بيتها ماذا تفعل، ويقلن: التي تطيل أظافرها أكثر من أربعين يومًا لا تقبل لها صلاة.

وهذه الأقاويل المخالفة للشرع كلها ثابتة عنهن من حيث الجملة وإن كان بعضهن ينكرن إذا اعترض عليهن غيرهن إلا أن اللاتي لم تطل ملازمتهن لجماعتها لا يعلمن بعض هذه الأشياء وهذه الأشياء

---

(١) المقصود جماعة منيرة قبيسي وأميرة جبريل الموجودات في سوريا ولبنان وغيرهما.

متواترة عنهن لأن عددًا منهن فارقنهن بعد أن كن منهن فمن طريقهن وصل إلينا هذا الخبر، ونحن لا عداء شخصيًّا بيننا وبين واحدة منهن وإنما غرضنا التحذير الذي فرضه الله على المؤمنين.

وللرد على أشعارهن القبيحة قصيدة للقطب الفرد الجامع والبدر المحمدي اللامع السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي الحسيني الحسني الشهير بالرواس رضي الله عنه يقول:

دع وهـم أهـل الـوحـدة الـمـطـلـقـة
وافـهـم رمـوز الـجـمـع والـتـفـرقـة

كـل اتـحـاد حـكـمـه بـاطـل
وشـاهـد الـظـاهـر قـد مـزّقـه

مـن غـيَّـر الأيـام أحـوالـه
وشـيـبـت رغـمًـا لـه مـفـرقـه

ثـم حـنـتـه ثـم طـاحـت بـه
تـحـت الـثـرى فـي حـفـرة مـغـلـقـة

ومـن يـرى الـفـقـر ويـلـقـى الـعـنـا
وتـعـتـريـه الـنُّـوب الـمـقـلـقـة

وكـلَّ وقـت كـلُّـه حـاجـة
لـثـوبـه والـخـبـز والـمـلـعـقـة

وتـكـتـنـفـه فـي الـخـلا وحـشـة
ويـتـزره الأنـس بـالـطـقـطـقـة

يـبـول مـقـهـورًا وتـلـوي بـه
لـنـومـه جـثـتـه الـمـعـرقـة

يـكـون عـيـن الله عـز اسـمـه
حـاشـا وذا مـن دنـس الـزنـدقـة

فـنـزه الـخـالـق عـن قـول مـن
أشـرك واطـرح هـذه الـشـقـشـقـة
مـا وحّـد الله تـعـالـى امـرؤ
مـعـتـقـد الـوحـدة الـمـطـلـقـة

والسادة الرفاعية رضي الله عنهم هم أشد الناس تحذيرًا من الوحدة المطلقة والحلول، قال القطب سيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «لَفظتان تُلْمتان في الدّين القَولُ بالوَحدة والشطح المجاوز حَدّ التحدث بالنعمة» اهـ أي أن التلفظ به هدم للدين ولو لم يعتقد قائله المعنى الذي هو اتحاد الله بالعالم.

ومن هنا قال أبو الهدى الصيادي شيخ الرفاعية في زمانه في شرح رسالة لبعض الصوفية في ءاخرها: «**فائدة استطرادية**: من قال أنا الله أو ما في الوجود إلا الله أو لا موجود إلا الله أو الكل هو الله أو نحو ذلك فإن كان عاقلًا صاحيًا في قيد التكليف فلا خلاف بين المسلمين جميعًا في كفره لمخالفته نص القرءان» اهـ. أي أنه مرتد فيُجرى عليه أحكام المرتد وإلا فلا.

والعجب كيف يستحلّون هذه الكلمات وهم يعلمون أنّ أفضل الذكر هو لا إلٰه إلا الله، لا ذِكْر أحبُّ إلى الله من لا إلٰه إلا الله وقد قال الرسول ﷺ إن هذه الكلمة أحسنُ الحسنات، وهذا حديث صحيح رواه البيهقي وغيره وصحّحه الحافظ ابن حجر.

الباب الأوّل

العقيدة الحقة
في الرد على
من رمى القوم بالزندقة

معالم طرق الصوفيَّة
أهل الصفا أتباع سنَّة الحبيب المصطفى ﷺ

قد قام أناس في هذا العصر يروجون الأكاذيب الملفقة بأن طرق الصوفية ليس من الإسلام في شيء بل هو من أثر عقائد الفلسفة اليونانية والهندية وقولهم هذا يكفر أكثر سواد الأمة الإسلامية التي تتبع طريق القوم رضي الله عنهم ولا تجتمع الأمة على ضلال.

وهؤلاء في كل عصر يتبجحون بأقاويلهم الدنيئة في الوقوع في ذمة الصالحين، وقد انبرى لهؤلاء الهالكين في مهاوي الضلال سيدي وسندي الشيخ أبو الهدى الصيادي الرفاعي رضي الله عنه فيقول في كتابه أشرف الوسائل في تحقيق أدق المسائل(١): «الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا وسندنا ونبينا وحبيبنا ونور قلوبنا وعيوننا الرسول الأعظم محمد ﷺ، وعلى إخوانه ساداتنا النبيين والمرسلين وءال كل وصحب كل أجمعين.

أما بعد فيقول العبد اللائذ بجاه الجناب المحمدي الرفيع في جميع الدواعي محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين إنه البر المعين، لا يخفى أن هذا الزمان كثرت فيه زمر الأهواء وتفاقم الأمر فقام يدعو للمذاهب الفاسدة طغام من الأشرَّاء ورأوا أن بغيهم وبطلانهم وزورهم وبهتانهم بل وكل ما في مخيلتهم الفاسدة من تصوراتهم الخبيثة الكاسدة لا ينجح ويتم إلا بالحطّ على العلماء بالله أولياء الله عليهم رضوان الله، ولا يفيدهم نتيجة سعيهم القبيح وإلحادهم الصريح إلا إذا تكلموا بلسان الشرع الشريف فأدخلوا على جهلاء الأمة زيغهم وضلالهم، وباعوا على

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٢٥٥).

بسطاء العقول كذبهم ومحالهم، فقام كل دنيء مجهول منهم يتجرأ على التظاهر بالطعن في أتباع أهل الله ويتبجح بملء فيه فيتكلم على مواسمهم وعاداتهم، ويتسلق بدرج الأمن فيصل إلى خدش شرف أئمتهم وساداتهم فينكر اتصال خرقتهم الشريفة بحضرة أمير المؤمنين صهر النبي الأمين عليه أفضل صلوات رب العالمين ألا وهو الليث الغالب مفرق الكتائب أسد الله الإمام العظيم سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه وأن الإمام الحسن البصري لم يأخذ منه ولم يرو عنه وأن الخرقة الشريفة وجميع أذكارهم المباركة اللطيفة لا أصل لها في الدين، ولا مستند لها في الكتاب المبين ولا في سنة سيد المرسلين عليهم صلوات الله وتسليماته أجمعين فأردت أن أخدم الدين وعصابة المسلمين بذكر حقيقة الطريقة العلية على الأحكام الشرعية النبوية فجاءت بحمد الله تعالى حسامًا ربانيًا لقطع أعناق المفسدين، ونورًا ساطعًا محمديًّا لهداية الحائرين ولا بدع فإن الصلحاء من العلماء والعقلاء وأرباب التوفيق من الفضلاء لا يحتاجون لمثل هذه الأدلة بالجملة غير أن العامة تخطفهم شقشقة أهل الزور من دجاجلة الأغراض، الذين امتلأت قلوبهم بزيغ الأمراض» اهـ.

فيما يتعلق
بسند القوم وخرقتهم ووقوع الإجماع
على قبول طريقتهم
وفيه مباحث جليلة وجمل جميلة

لا يخفى على ذوي الأفهام من الأمراء والحكام والعلماء الأعلام بل والخواص أن الأمة أجمعت على قبول طريق الإمام الجنيد بن محمد البغدادي القواريري شيخ الصوفية ورأس الجماعة فأرشدوا إلى تقليده في الطريق وقد قال الشيخ اللقاني رحمه الله في متن الجوهرة.

ومـــالـــك وســـائـــر الأئـــمـــة
كـذا أبـو الـقـاسـم هـداة الأمـة

فـواجـب تـقـلـيـد حـبـر مـنـهـم
كـذا حـكـى الـقـوم بـلـفـظ يـفـهـم

قال ولده الشيخ عبد السلام في شرح هذه المنظومة المسمى بـ «إرشاد المريد» الذي ضمنه مختار أهل السنة مالك بن أنس وباقي الأئمة المعهودين يعني أئمة المسلمين كأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي وأبي حنيفة النعمان بن ثابت وأبي عبد الله أحمد ابن حنبل، ثم قال مثل من ذكر في الهداية واستقامة الطريق أبو القاسم بن محمد الجنيد الزاهد سيد الصوفية علمًا وعملًا وكان على مذهب أبي ثور صاحب الشافعي رضي الله عنه وكذا أصحابه فيجب أن يعتقدوا أن مالكًا ومن معه أي من الذين ذكرناهم هداة هذه الأمة التي هي خير الأمم منهم خيارها بعد الصحابة ومن معهم ثم قال: فواجب عند الجمهور على كل من لم يكن فيه أهلية

الاجتهاد المطلق تقليد حبر أي عالم مجتهد منهم أي الأخذ بمذهبه في الأحكام الفرعية ويخرج من عهدة التكليف بتقليد أيهم شاء لأن المذاهب لا تموت بموت أصحابها وكذا حكى القوم يعني أهل الأصول وجوب تقليد حبر منهم بلفظ واضح يفهم انتهى ملخصًا مع ضبط كلماته بحروفها.

ومن المعلوم أن المتَّبع في الأصول إنما هو المعصوم ﷺ وهؤلاء الأئمة رضي الله تعالى عنهم جاؤوا فقرروا أحكام الشريعة ودلوا الأمة على طريق النبي عليه الصلاة والسلام فأجمعت الأمة على الأخذ بمذاهبهم والاقتداء بهم، ومنهم سيد الطائفة الصوفية الجنيد أبو القاسم رضي الله عنه، وسند خرقته ينتهي من طريق الإمام الحسن البصري إلى الإمام أمير المؤمنين سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه وكرّم الله وجهه فهل لو كان منقطع السند أو هل لو كانت أذكاره وفروع طريقته المباركة لا أصل لها في الدين يمكن أن يحصل الإجماع على قبول طريقته ووجوب تقليده؟ وقد نرى أن طرق الصوفية رضي الله عنهم تنتهي أسانيدها بالوثائق التي لا تقبل النزاع إليه رضي الله عنه، ونرى أن الأمة المحمدية أيّدها الله تعالى بتوفيقه إذا قسمناها إلى عشرة أجزاء فتسعة أجزائها تنتمي إلى طرق الصوفية بلا ريب، ولن تجتمع هذه الأمة المباركة على ضلالة فهل حينئذ يكون المكابر بردّ طرق القوم والحطّ عليهم إلا شاذًّا في نار غرضه، ساقطًا في وهدة إلحاده ومرضه.

قال العارف بالله الشعراني طاب ثراه في كتابه «الواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية» ما نصه: «وإياك أن تقول طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سُنة فإنه كفر فإنها كلها أخلاق محمدية سداها ولحمتها منها» انتهى.

ومن هذا النص الصريح والقول الصحيح يعلم أن منكر طريق

القوم يكفر من حيث لا يشعر وكيف لا يكون كذلك وقد هدم منار الإجماع ومال الشقاق والنزاع ـ قلت[1]: هذا كلام محمول على المنكِر الذي عرف أن طريق القوم العمل بالكتاب والسنة ظاهرًا وباطنًا ومع ذلك قال ببطلانه فهذا الذي يكفره، أما من يظن أن التصوف غير ذلك فأنكره فلا يكفر بل يخطأ ـ وانصرف مع بوائق الزيغ والابتداع وجحد حقوق أناس طهرت سرائرهم، وأضاءت بنور الهدى المحمدي بصائرهم، هجروا المألوفات، وأقبلوا على الله بخالص النيات، وانطوى في مشربهم حال النبي ﷺ وأدبه وخلقه ومشربه «أولئك أهل الصفوة الأولى» من عاداهم فقد عادى الله، وباء بخزي من الله، كيف لا وهم من أعظم ءايات الله في ملك الله ولا بدع فأجلُّ ءايات الله ءاياته الدالة عليه، وهم أهل الله عليهم رضوان الله، وليتدبر كيف قال تعالى في حق أهل العمى القلبي والبعد الكلي ﴿۞مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [سورة الكهف] ولا ريب فالمعارض لأهل الدلالة هو من أهل الضلالة والضدان لا يجتمعان.

وعَذبَ ما فصَّله العارف عبد الغني النابلسي طاب مرقده في رسالة صغيرة له سماها «أنوار السلوك» قال نور الله مرقده: اعلم أن هذه الشريعة المحمدية والملة الإسلامية ليست كغيرها من الشرائع المتقدمة المنسوخة الآن، والملل المعهودة عند جهل الباطل فإن الشرائع المتقدمة كانت الأنبياء عليهم السلام إذا جاؤوا بها إلى أممهم يكون المتبع بهم منهم طوائف قليلين، وجماعات بالنسبة إلى هذه الأمة ليسوا بالأكثرين الأجلين، فغاية ما يتقرر

(١) هذا قول مؤلف هذه الرسالة.

عليهم بعد الإيمان بأنبيائهم أحكام الشرائع الظاهرة والأعمال المنوطة بالعوام من الاعتقادات الإجمالية والأعمال البدنية والحكم المتعلقة بالأخلاق والأحوال القلبية، وهذا غاية ما يكون دور الأسرار الربانية والحقائق العرفانية التي اختصت بحوزها أولياء هذه الأمة، وتوجهت إليها بواطن السالكين بالنية الخالصة وصدق الهمة، فيكون أفضل الرجال بينهم أي بين الأمم المتقدمة من يعمل بالظواهر من الطاعات ويترقى إلى الاتصاف بحسن الأخلاق القلبية، والنادر القليل جدًا من يتحقق ببعض هذه الحقائق الإلٰهية والتجليات الربانية.

وأما هذه الشريعة المحمدية والملة الإسلامية فإنها ولله الحمد والمنة عظيمة المقدار، شريفة المقاصد والآثار ناسخة لجميع الشرائع الماضية لتضمنها لها مع زيادات كثيرة وفضائل جمة، ولا يتصور أن تكون منسوخة إلى قيام الساعة بغيرها، وكثر فيها الإخلاص من أهل الاختصاص، وزاد المتبعون لها على العد وخرجت عن الضبط والحد، واختلفت اصطلاحاتها وأوضاعها، وعظمت قوانينها وقوي إجماعها، وهي الشريعة الباقية إلى يوم القيامة إن شاء الله فلا يقدر أن يعيب عليها أحد، ولا يطعن في شيء منها إنسان، وإنها المحفوظة من إنكار كل جاهل شيطان، بواطنها العظيمة مؤسسة على أمتن أركان، وظواهرها الشريفة مبنية أكمل البنيان.

وقد أخذ المجتهدون الأربعة وغيرهم ممن تقدم من المجتهدين ظواهر الشريعة المتعلقة بالأعمال الصالحة فاجتهدوا في ظواهر معاني الكتاب والسنة، واستنبطوا الأحكام وقروا بالأدلة والبراهين لنفع الأتباع المقلدين واجتهدوا في معاني الكتاب والسنة أيضًا مع إضافة النظر العقلي في عقائد أهل الكلام وقرّروا القواعد والأصول

وبينوا لعوام المسلمين عقائدهم في الله تعالى وصفاته وأسمائه وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغير ذلك من الاعتقادات المجملة وردّوا على من خالفهم في شيء من ذلك من أرباب البدع المنكرة والاعتقادات الزائغة ونصروا الحق على الباطل فجزاهم الله تعالى عن عامة المسلمين خيرًا. وقد أخذت الصوفية السالكون على منهج الأعمال الصالحة والتقوى علوم الطريقة المحمدية وقرروا الأخلاق القلبية، والأحوال الإنسانية، وبينوا الإخلاص والتوكل على الله تعالى والصبر والشكر والزهد وغير ذلك وبينوا المفاسد من الرياء والسمعة والحسد والتكبر والعجب ونحو ذلك وشرحوا أحوال الطريقة المحمدية على أكمل الوجوه وردوا على من خالفهم وقال بخلاف قولهم.

وأخذ المحققون العارفون بالله تعالى على التحقيق والكشف والعيان بحسب الاستعداد الوهبي علومهم ومعارفهم وحقائقهم من بواطن أسرار الشريعة المحمدية وإشارات معاني الكتاب والسنة، ونشروها في هذه الأمة لمن كان من حزبهم وذوي طريقتهم وكان راغبًا في نيل أحوالهم والالتحاق بهم واصطلحوا على اصطلاحات فيما بينهم لا يعرفها إلا من ذاق مشاربهم وسار على سيرتهم في الظاهر والباطن، كما أن القسمين الأولين فعلوا كذلك اصطلحوا على كلمات يؤدون ما أرادوه من المعاني في ظواهر الأحكام الشرعية معاني الأخلاق في علوم الطريقة المحمدية ولا لوم على أحد منهم فيما اصطلح عليه من الكلمات والعبارات وإن لم يكن هذا الاصطلاح كله معروفًا في زمان النبي ﷺ ولا في زمان الصحابة ولا التابعين هو شيء وضعه المجتهدون الكاملون في طرائقهم المطلوبة ومذاهبهم المرغوبة، ولا يسمى شيء من ذلك بدعة في الدين ولا زيادة على ما كان عليه صنيع السلف ومع هذا

كله فليست هذه الاصطلاحات وهذه القوانين المحدثة بعد الصدر الأول ببدع في الدين ومخالفات لطريقة سيد المرسلين، بل هي كلها تقرير لهذه الشريعة وتبيين لأحكامها وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة على حق وعلى هدى وعلى نور من الله تعالى، وكل قسم منهم يقول إن مجموع الدين الإسلامي هو ما نحن عليه قائمون به وندعو إليه أمة محمد ﷺ وقد صدقوا كلهم إن لم ينكروا على القسم الآخر ما هم عليه من أمور الشريعة المحمدية فالمنكر هو الضال المبتدع الزائغ عن الشرع القويم والطريق المستقيم. قال الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره: إن قوة الأدلة لا تفيد إلا إذا قدَّر الله تعالى للعبد الإيمان.

قلت: فإذا لمع نور الإيمان في القلب اندفعت ظلمات الشكوك وانمحق سوء الظن من الخاطر بالخلق ووقف النظر عن السقوط إلى ما يشين الخلق، وانصرف إلى ما يستحسن إلا إذا قامت الحجة القاطعة الحقة فلا محيص عن الحق وهناك أيضًا فأساليب الشرع الشريف معلومة يعرفها العارفون ويجهلها الجاهلون ويحيد عنها حقدًا الضالون، ومن هذا التفصيل علمنا أن طرق الشرع مع اختلاف جهاتها فالغاية منها واحدة فمن فرَّق كلمة المسلمين بجهله أو حاد بهم عن الطريق بزيغه فهو من المغضوب عليهم الضالين ولا عدوان إلا على الظالمين، وقد وقع الإجماع على ترجيح تقليد الجنيد في مذهب التصوف كباقي الأئمة رجال المذاهب رضي الله عنهم أجمعين حتى ابن تيمية على ما فيه من المخالفة للقوم قال عن الجنيد «إنه إمام هدى» قاله في شرح حديث النزول وهذا التقليد لا شك هو في فروع المعارف الروحية والمعاني الذوقية وطرقها وأساليبها وعادات أهلها في رياضاتهم وروحنة قلوبهم وأعمالهم وأحوالهم وإلا ففي أصول تلك الحقائق فالمتَّبع هو رسول الله ﷺ

وحيث رجح رجال الإجماع أهل الحل والعقد أعيان العلماء والصلحاء تقليد الإمام الجنيد في فروع مذهبه الروحي، فقد صححوا قبولا وإجماعًا سند خرقته وقالوا باتباعه وأخذ هذا السند عنه كما وقع ولم يستثن ذلك مستثن قط وإن تكلم في ذلك الكثير من المتأخرين ومن رجال أواسط القرون الماضية فذلك لا ينافي صحة سنده بعد الإجماع على قبول طريقته في الأول والآخر، والباطن والظاهر، وقد انتظم بسلكه العالي الأعاظم من العلماء والمحدثين والجم الغفير من أكابر الدين، أعيان المذهبين، ورجال الطريقين.

وقد لبس الخرقة من خاله الإمام السري السقطي وهو من الشيخ الكبير معروف الكرخي وهو من الشيخ داود الطائي وهو من الشيخ حبيب العجمي وهو من الإمام الحسن البصري وهو من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهنا نزاع البعض وهو نزاع زائد وسيأتي الكلام عليه.

ولبس الشيخ معروف الكرخي الخرقة من الإمام علي الرضا وهو من أبيه الإمام موسى الكاظم وهو من أبيه الإمام جعفرالصادق وهو من أبيه الإمام محمد الباقر وهو من أبيه الإمام زين العابدين علي وهو من أبيه الإمام الحسين شهيد كربلاء وهو من أبيه أمير المؤمنين سيدنا الإمام علي المرتضى عليهم جميعًا رضوان الله تعالى وتحياته وسلامه.

وهذا السند لا نزاع فيه فليتدبره وإن لم يكن القائلون بصحة أخذ الإمام الحسن البصري عن الإمام علي رضي الله عنه إلا رجال هذا السند لكفى فإنهم لم يختلف في جلالة قدرهم وصدقهم وعلو منزلتهم في العلم والعمل اثنان، والقاعدة الأصلية أن المثبتة مقدَّمة على النافية وعلى الخصوص فإن الأمر غير مجهول ولا مناف للعقل لا في الوقت ولا في الزمان مع ما يشهد لصحة أخذ الإمام الحسن البصري طيب الله شريف مرقده عن سيدنا أمير المؤمنين

علي المرتضى كرم الله وجهه ورضي الله عنه من البراهين الساطعة التي لا تدافع فما ثم هنالك إلا نافية بلا حجة فكيف تدفع مثبتة أيَّدتها الحجة القاطعة كلا لا يكون ذلك مطلقًا إذ الحق أحق أن يتبع.

قال الإمام الشيخ ضياء الدين أحمد الوتري الشافعي البغدادي قدس الله سره وروحه في كتابه «روضة الناظرين» ما نصه: إن خرقة الصوفية رضي الله عنهم تتصل بالخليفة الرابع أسد الملاحم والمعامع، شيخ أئمة الآل، فحل الرجال، صهر رسول الثقلين، والد الريحانتين، إمام المشارق والمغارب، أمير المؤمنين أسد الله سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه ورضي الله تعالى عنه، وقد ندر اتصال خرقة بغيره وكلهم على هدى يتصلون بسيد المخلوقين حبيب رب العالمين ﷺ ولا يلتفت لما يقوله البعض في شأن خرقة الصوفية إن ذلك قد نشأ عن هفوات لا تعتبر ولا يبنى عليها الشك بعد اليقين بصحة الخبر.

قلت: وقد نقل الوتري عن الإمام التقي الواسطي طاب ثراهما أنه قال: خرقة القوم أهل الطريقة الواصلين بعرفانهم إلى الحقيقة تتصل بالأسانيد المرضية إلى سيد البرية ﷺ لا يقدح باتصالها إلا الحاسد أو المكابر المعاند فإنهم أخذوها عن الثقات الأئمة المقتدى بهم في هذه الأمة الذين اشتهر صدقهم وصلاحهم وظهر في الأكوان مجدهم وفلاحهم وبلغ ذلك بين هؤلاء السادات مبلغ التواتر القطعي الذي لا يمتري فيه عالم ولا يحمحم به عاقل من العناد سالم تلقاها خلفهم الناجح عن سلفهم الصالح انتهى.

وقال الوتري قدس سره: وإن شيخ أهل الخرقة على الحقيقة هو الإمام العارف مقتدى أئمة الطوائف وارث السر العلوي وناصر الشرع النبوي الإمام الكبير أبو سعيد سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه لبس الخرقة من الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

ورضي الله عنه، قال سفيان الثوري رضي الله عنه فالحسن البصري أجل أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام انتهى. ثم قال الوتري رحمه الله تعالى في الحسن البصري: شاعت علومه وكراماته في أقطار الدنيا، كان ليلة قتل علي كرم الله وجهه يصلّي خلفه وهو رأس الفقهاء بعد العبادلة رضي الله عنهم.

ثم قال: مكان الحسن البصري يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس إلا الحسن وأفقه الناس إلا الحسن وأفصح الناس إلا الحسن، شهد مقتل عثمان رضي الله عنه وهو ابن أربع عشرة سنة وشب في كنف علي بن أبي طالب رضي الله عنه انتهى.

وقال الإمام الشيخ علي برهان الدين القاهري الحلبي صاحب كتاب السيرة في كتابه النصيحة العلوية في بيان حسن الطريقة الأحمدية ما نصه: أقول والمشهور المحفوظ أن الحسن البصري إنما لبس الخرقة من سيدنا علي بن أبي طالب لكن نُوزع في اجتماعه بسيدنا علي وصحح الجلال السيوطي ثبوت اجتماعه به قلت: صحح السيوطي اجتماع الحسن بسيدنا علي وصحح تلقيه وأخذه عنه في كتابه الذي سماه «رفوُ الخرقة» وفيه ما يكفي.

وقد سئل مفتي المدينة المنورة السيد أسعد طاب ثراه المتوفى سنة ست عشرة ومائة بعد الألف عن صحة سند الصوفية رضي الله عنهم في الخرقة فأجاب بما نصه: الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى سند القوم في الخرقة صحيح أثبته جماعة من الحفّاظ ورجّحه خلائق وممن رجحه الحافظ ضياء الدين المقدسي فقال في المختارة: قال الحسن بن الحسن البصري عن علي وإلى هذا ذهب الحافظ السيوطي وهو الصحيح لأن العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أن المثبت مقدّم على النافي لأن معه زيادة علم وأبوة الطريق صحيحه فقد ورد في الخبر أي فيما أثر عن

غير النبي «الآباء ثلاثة أب ولدك وأب علمك وأب ربّاك» ولله در من قال:

أرى فضل أستاذي على فضل والدي

وإن زاد في بر وإن زاد في تحف

فهذا مربي العقل والعقل جوهر

وهذا مربي الجسم والجسم من صدف

وقد أخذ الحسن البصري وهو شيخ خرقة الصوفية عن علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه بلا ريب فإنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر الفاروق رضي الله عنه باتفاق، كانت أمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه فممن بارك عليه عمر رضي الله عنه ودعا له فقال: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس. ذكره الحافظ جمال الدين المزي في التهذيب وأخرجه العسكري في كتاب المواعظ بسنده: وحضر الحسن شهادة عثمان رضي الله عنه وعمره أربع عشرة سنة، قال الحافظ السيوطي: كان يحضر الجماعة ويصلي خلف عثمان رضي الله عنه إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه إذ ذاك بالمدينة فإنه لم يخرج منها إلى الكوفة إلا بعد قتل عثمان، فكيف يستنكر سماعه منه وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرات من حين ميّز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة. وزيادة على ذلك أن عليًّا رضي الله عنه كان يزور أمهات المؤمنين ومنهن أم سلمة والحسن في بيتها هو وأمه. وروى الحافظ السيوطي عن الإمام أحمد في مسنده أنه قال: حدثنا هشيم أخبرنا يونس عن الحسن عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول **«رفع القلم عن ثلاثة عن الصغير حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المصاب حتى يكشف عنه»** أخرجه الترمذي وحسّنه النسائي والحاكم صححه والضياء المقدسي في المختارة. قال

الحسن: رأيت الزبير يبايع عليًّا ذكر ذلك الحافظ الزين العراقي، وروى مثله أبو زرعة وذكر الطحاوي والدارقطني وأبو نعيم في الحلية عدة أحاديث من طريق الحسن عن علي رضي الله عنه قال: كفّنت النبي ﷺ في ثوبين وبُرد حبرة، وفي حديث عقبة بن أبي الصهباء الباهلي قال: سمعت الحسن يقول: سمعت عليًّا يقول: قال رسول الله ﷺ «**مثل أمتي مثل المطر**» الحديث، قال محمد بن الحسن بن البصير في هذا نص صريح في سماع الحسن من علي ورجاله ثقات.

قال كل ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني وبسند الحافظ أبي بكر إلى القصار قال صافحت الحسن البصري قال: صافحت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: صافحت رسول الله ﷺ قال: «صافحت كفي هذه سراداقات عرش ربي عز وجل» وبطريق الاستئناس ذكر جماعة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليًّا كرم الله وجهه ألبسا أويسًا القرني خرقة بإذن نبوي.

وفي حديث أم خالد قالت أوتي النبي ﷺ بثياب فيها الخميصة العبأ سوداء صغيرة فقال «**من ترون أكسو هذه**» فسكت القوم فقال رسول الله ﷺ «**إيتوني بأم خالد**» قالت: فأُتي بها فألبسنيها بيده وقال: «**أبلي وأخلقي**» يقولها مرتين وجعل ينظر إلى علم في الخميصة أصفر وأحمر ويقول «**يا أم خالد هذا سناه**» والسنا هو الحسن بلسان الحبشة، وعلى هذا فسند خرقة القوم وطريق مصافحتهم كلاهما صحيح رضي الله عنهم ونفعنا بهم والمسلمين انتهى.

وقال شيخنا علامة الزمان وأستاذ العصر والأوان القطب الفرد الجامع الرصين الأساس سيدنا السيد بهاء الدين مهدي ءال خزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس رضي الله عنه في كتابه «رفرف العناية» ما نصه: وقد تعين عندنا من هذه الطريقة الصحبة ولبس

الخرقة ولا عبرة بإنكار بعض الأفاضل أو جُلّهم لهذا فإن رجال الأخبار كثر اختلافهم وقلّ فيما يباين مشاربهم ائتلافهم وكفى حجة للقوم وإطباق الصالحين والزاهدين والمتمكنين في أمري الحقيقة والشريعة على هذا وناهيك بالإمام الجنيد والأئمة الأعلام السري والكرخي والطائي وأشباههم رضي الله عنهم.

وقد أنكر الكثير من الحفاظ أخذ الإمام الحسن البصري وسماعه أيضًا عن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي الله عنه، والحال أن الإمام جمال الدين المزي ذكر في كتابه «تهذيب الكمال» و«الأطراف» مما أفنى عمره فيهما في ترجمة سيدنا الحسن البصري عند ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم، فمنهم عقيل بن أبي طالب وأخوه علي ولم يحك فيه خلافًا وعلى كل من شيوخ الحسن رمز الترمذي والنسائي وعلي أخذه عن عقيل رضي الله عنه سلام الله ورضوانه عليه رمز الترمذي والنسائي وعلي أخذه عن عقيل رضي الله عنه رمز النسائي وابن ماجه، ومما روي عنه من طريق سيدنا علي: **«أفطر الحاجم والمحجوم»** رواه النسائي خاصة، وحديث **«رفع القلم عن ثلاثة»** من طريق عليّ كرّم الله وجهه رواه عنه الترمذي والنسائي، قال محمد بن موسى الجرشي أنبأنا ثمامة بن عبيدة قال حدثنا عطية بن محارب عن يونس عن عبيد قال سألت الحسن قلت يا أبا سعيد إنك تقول قال رسول الله ﷺ فإنك لم تدركه قال يا ابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من قبلك ولولا منزلتك ما أخبرتك أني في زمان كما ترى وكان في زمن الحجاج كل شيء سمعتني أقول قال رسول الله ﷺ فهو عن علي بن أبي طالب غير أني لا أستطيع أن أذكر عليًا انتهى.

وقد أثبت الجلال السيوطي طاب ثراه سماع الحسن البصري وأخذه عن سيدنا علي واتفق الحفاظ على أخذ الحبيب العجمي بل

وأيوب السختياني ويونس بن عبيد وعبد الله بن عوف ومحمد بن واسع ومالك بن دينار وفرقد السنجي وغيرهم من عُبّاد البصرة عن الإمام الحسن البصري، وعلى هذا فإطباق القوم وإجماعهم على صحة هذا الاتصال لا ينقض بإنكار غيرهم وقد جاء عن النبي ﷺ: **«من تشبه بقوم فهو منهم»** وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم فقال رسول الله ﷺ: **«المرء مع من أحب»**.

وقد أخذنا سند الخرقة بقصد التزيي بزي رسول الله ﷺ بالأسانيد الصحيحة التي ضبطها الحفاظ أمناء الرسل علماء المسلمين حفظة الحديث ورجاله رضي الله عنهم فإن الخرقة أعني الزّي الذي اختاره السادة الرفاعية ومضوا عليه خلفًا بعد سلف، إنما هو العمامة السوداء مرسلة الطرف واختارها بعضهم بغير إرسال. قال النووي رحمه الله في «شرح المهذب»: يجوز لبس العمامة بإرسال طرفها وبغير إرساله ولا كراهية في واحد منهما ولم يصح في النهي عن ترك إرسالها شيء وصح في الإرخاء حديث عمر بن عبيد حيث قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه رواه مسلم انتهى.

وأسند الحافظ أبو موسى المدني في كتاب السنة في سدل العمامة عن أبي داود الطيالسي قال الأشعث بن سعيد عن عبد الله ابن بشر عن أبي راشد الحبراني عن علي رضي الله عنه قال عممني رسول الله ﷺ يوم غدير خم بعمامة سدلها من خلفي ثم قال: **«إن الله عز وجل أمدَّني يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون هذه العمامة»** وقال **«إن العمامة حاجز بين الكفر والإيمان»** وأسند عن عبد الله بن بسر عن حكيم العنسي قال دعا النبي ﷺ عليًّا رضي الله عنه فعممه بعمامة سوداء وأرسلها من خلفه ثم قال: **«هكذا فاعتموا حاجز**

المسلمين والمشركين العمائم» وأسند الطبراني من طريق عبيد الله ابن تمام عن أبي موسى رضي الله عنه أن جبريل أقبل على النبي ﷺ وعليه عمامة سوداء قد أرخى ذؤابته من ورائه.

روى المديني عن وكيع عن سلمة بن وردان قال رأيت على أنس بن مالك رضي الله عنه عمامة سوداء على غير قلنسوة وقد أرخاها من خلفه وقال ذكر إسماعيل بن يزيد القطان عن خالد بن عبد الرحمٰن القرشي عن عاصم بن عمر العمري عن أبيه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه رأى عليه عمامة سوداء أسدلها من خلفه قدر ذراع وقال عبد الله بن بسر رضي الله عنه بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى خيبر فعممه بعمامة سوداء أرسلها من ورائه أو قال على كتفه اليسرى.

ومن هذه الأخبار النبوية الصادقة أن رسول الله ﷺ عمم عليًا المرتضى سلام الله ورضوانه عليه بعمامة سوداء ثم قال **«هكذا فاعتموا»** الحديث، وقد كان رسول الله ﷺ في يوم فتح مكة معتمًا بعمامة سوداء بل كان كثيرًا ما يعتم بالسواد كل ذلك إشارة لسيادته ودوام سؤدده وبقاء دينه وقد أمر عليًا بهذا وعلي أمر أصحابه ومنهم الحسن البصري وعن البصري أخذ أصحابه وتسلسل هذا حتى اتصل بسنده متدليًا إلى الإمام شيخ الطريق مولانا السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه ومنه الحمد لله بالسند الوثيق والطريق الحقيق لنا ومنا وإن شاء الله لمن لحقته بيعتنا في طريقة الله تعالى وسندنا معلوم تلقاه رجالنا كابرًا عن كابر عن النبي ﷺ انتهى كلامه الشريف بنصه وحروفه.

وقال الإمام ابن الصلاح: إن من القرب لبس الخرقة وقد استخرج لها بعض المشايخ أصلًا من السنة وهو حديث أم خالد رضي الله عنها قالت: أُتي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: **«ائتوني بأم**

خالد» فأُتي بي قالت: فألبسنيها بيده وقال: **«أبلي وأخلِقي»** وأبلي دعاء بطول الانتفاع بالثوب وهو مخرّج في الصحيح، قال ابن الصلاح: وفي الخرقة إسناد عال جدًّا وذكره ثم قال: وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة غير متصل إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث في الأسانيد فإن المراد ما تحصل به البركة والفائدة باتصالها بجماعة من الصالحين انتهى كلامه.

لا يخفى أن الأسانيد المتصلة بلبس الخرقة لما ثبت أصلها في السنة من وجوه وأهمها العمامة السوداء ووردت فيها الأخبار الصحيحة التي لا تدافع وعليها مشى ءال رسول الله ﷺ، ومنهم أئمة العترة وهم سادة الناس وقادتها وعنهم أخذ أئمة الطريق بوثائقهم الصحيحة فما بقي القول باتصالها بالصالحين وعدم اتصالها على شرط أصحاب الحديث بالأسانيد إلى النبي ﷺ إلا من الغفول عن الأخبار والأحاديث الصحيحة التي وردت في العمامة السوداء وقد ذكرناها، نعم إن إنكار البعض من الحفّاظ للبس الخرقة الذي جرى عليه جماعة من الصوفية على هذا الوجه لم يثبت اتصاله بالسند إلى النبي ﷺ ولم يرد في ذلك خبر صحيح ولا ضعيف حكى كل ذلك ابن حجر والقسطلاني وأبو الخير السخاوي والذهبي ومغلطاي والعراقي والعلائي حتى إنهم أنكروا سماع الحسن البصري عن الإمام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وقالوا ورد لبسهم للخرقة وإلباسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى ابن قعود وإلى كميل بن زياد وهما صحبا الإمام عليًّا بن أبي طالب كرم الله وجهه ولا خلاف في صحبة كميل بن زياد له بين أئمة الجرح والتعديل، قال القسطلاني: وفي الطرق اتصالها بأويس القرني وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وبعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وهذه صحبة لا مطعن فيها وقال العلامة العارف الشعراني في كتاب

الخرقة: وقد لبس أويس ثوب سيدنا عمر ورداء سيدنا علي رضي الله عنهما.

وخلاصة ما يراد أن خرقة السادة الصوفية ذات أصل في السنة ثابت ورجالها الأئمة الذين ثبتت لهم المعالي في الأمة، ولبس الخرقة الذي أنكره الحفاظ الذين سبق ذكرهم على الوجه المتعارف عند بعض الصوفية إلباس جبة وطاقية هو لا شك غير متصل الأسانيد بالنبي ﷺ على هذا الوجه، فالحفاظ الكرام الذين أنكروا هذا الوجه المتعارف قولهم حق وما ذهبوا إليه صدق إلا أن خرقة السادة الرفاعية رضي الله تعالى عنهم لا مجال لهم ولا لغيرهم إنكارها وهي العمامة السوداء واتصال السند بالنبي ﷺ فيها سبق ذكره، وإلباسه العمامة السوداء لعلي أمير المؤمنين كرّم الله وجهه ثابت في الصحاح، وأمره له ولأصحابه بعد إلباسه إياها بنص «هكذا فاعتموا».

ومما لا نزاع فيه وطريق خرقة الصوفية عن الجنيد عن السري عن الكرخي وله طريقان كما سبق فطريقة المتصل بالحسن البصري، وسماع بل وأخذ الحسن عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه صححه جلة من الحفاظ والمثبتة مقدمة على النافية، وعلى هذا إطباق القوم وطريق الكرخي عن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم عن أبيه إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه طريق لا مجال للنزاع فيه ولا باتصال أسانيده وقد ثبت هذا بالبراهين وقال به الأعيان من الحفاظ المحققين وأكابر علماء الدين وقد ذكر بعض الأئمة لبس الحسن البصري عن كميل بن زياد القوم الذين برأهم الله من اللوم بصاحب النور المبين سيد المرسلين عليه أفضل صلوات البر المعين والحمد لله رب العالمين.

الباب الثاني

عادات السادة الصوفية
مشاربهم، أذواقهم، أذكارهم، أورادهم، مجالسهم، سماعاتهم وما هم عليه في أطوارهم وأحوالهم، ومقاصدهم الشريفة

لا يخفى أن القوم أهل الله رجال الله رضي الله تعالى عنهم اصطلحوا في طريقهم المبارك على مجالس يجتمعون فيها مع إخوانهم على ذكر الله تعالى وعلى قراءة شيء من كتاب الله سبحانه وعلى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فإذا انتصبوا على الأقدام للذكر قام منهم حاد يحدو لهم بشيء من المناجات الإلٰهية والمدائح النبوية والحكم المذكرة بالله والمديح لأهل الله مع الحضور الخالص والصدق والمراقبة لله تعالى والتجرد عن غيره والوقوف على بساط الأدب بجمع الهمة وصفاء الطوية وخالص النية يريدون بذلك وجه الله، ومدد رسول الله ﷺ ونفحات أرواح أولياء الله، ويردّون الكل إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولهم في ذلك اصطلاحات وإشارات خفيات، ومواجيد جليّات، وبكاء وهيام، وشوق وغرام، واصطلام واضطرام، لا يعرف أسرار ذلك إلا من كان منهم ءاخذًا عنهم متحققًا بأذواقهم، مكتسبًا من مشاربهم وأخلاقهم.

ونرى بعض الجهلة ممن يزعم العلم وما هو على شيء يحط عليهم وينسب العيوب إليهم، ومن أخشن الحماقة ما ذهب إليه بعض أولئك المتفقهة الذين هم في علمهم كأنهم المرادون بالإشارة التي جاءت على لسان الشارع ﷺ حيث قال عليه الصلاة والسلام: **«إن من العلم جهلاً»** رواه أبو داود فإنهم زعموا أن حلق الذكر التي يجتمع فيها القوم حِلَق رقص وهذا التواجد الذي يهز القلوب إلى

علام الغيوب هو عبث وسفه وجهل، وبنوا أغاليطهم على زعمهم هذا فأطلقوا ألسنتهم والعياذ بالله بتحريم مجالس الذكر، وغاية فقههم المزعوم الذي هو جهل محض أن مجالس الذكر من اللهو واللعب وأن هذا التواجد من الرقص، وتشدّقوا تشدُّق الحنق العدو بما لا ينطبق لا على كتاب ولا على سنة وأغلظوا على إخوانهم في الدين، وءاذوا أمة من خاصة المسلمين، والحال أن العبث والسفه كل ما يكون خاليًا عن الفائدة وكون مبنى الشرع الشريف على الحكمة وأصول طريق القوم وفروعها واجتماعاتهم وعاداتهم.

وجميع ما هم عليه مبني على الحكمة والعبرة التي تفيض العَبْرة ومن أين للخبل الغليظ الحجاب الذي ستر منافذ نور قلبه غرضه ومرضه، وكبره وحقده، وبغيه وسوء ظنه، وحب التفوق والشهرة، وميله لأهل الزيغ والفساد، والضلال والعناد، أن يعرف ما عليه القوم في أحوالهم ومواجيدهم وأذواقهم وقيدهم في أطوارهم وإطلاقهم وقد ذهب أولئك المتعصبة بسائق غرورهم إلى سوء الظن المحض بالقوم نفعنا الله بهم والحال أن القاعدة الأصولية تحكم أنه لا يعمل بالظن إلا أن يقوم دليل خاص على اعتباره إما في جنس الحكم أو في نوعه فيقال لأولئك المتفيقهة كيف حكمتم على مجالس القوم أنها من العبث وأن قيامهم في حلق الأذكار رقص ومواجيدهم سفه فصرِّفوا لنا القاعدة وصححوا التطبيق ونحن حينئذ معكم فيما تزعمون وإن أفحمكم القوم وأتوا بالحكم العالية المقصودة عندهم في قيامهم وقعودهم ومواجيدهم وميلهم وتأوُّههم وكان كل ذلك من الحال المحمدي العظيم والطريق المصطفوي القويم فهل أنتم حينئذ إلا من الخابطين بأحكام الشرع بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير؟ وهل تهجمكم هذا إلا من نزغ الشيطان الذميم؟ بلى الأمر كذلك نعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

والقاعدة عند الأصوليين والمحدثين والفقهاء قبول خبر من لم يصدر عنه كذب محقق سيما إذا أيّد خبره قرينة صالحة وها هم القوم أعني السادة الصوفية رضي الله عنهم يخبرون عن أذواقهم وأحوالهم ومجالس ذكرهم ومعارفهم بما هو من لُباب حال النبي ﷺ وءاله وأصحابه، وقد أيَّد أخبارهم ظهور الآثار الصالحات والكرامات الباهرات على أيديهم في كل زمن، ولا عبرة بدخيل فيهم وما هو منهم أساء وخلط وارتكب الغلط فمثال ذلك فيهم كمثال أولئك المتفقهة من علماء السوء في صنف العلماء الصالحين حملة شريعة النبي الأمين سُرُج الأمة ونجوم الملة أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاتهم ونفعنا بعلومهم ءامين.

وما أدري مستند المتعصبة تسمية الذكر لهوا ولعبًا وعبثًا وسفهًا وأتباع كل ذلك بالخوض الفادح بأهل الذكر ورجال الحق، فإن كان ذلك لتمايلهم وسماع قوّالهم الذي ينشد لهم مدح المصطفى ﷺ ومدائح أهل الله وأعيان الدين ويُذكر بالله وبأيام الله ويزهد بالدنيا ويحض على طلب الآخرة ويلزم بإرادة النفع للمخلوقين وكفّ الأذى عنهم على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ومشاربهم. وقد أفتى الإمام محمد الغزي الحنفي بتكفير من يعيب مجالس الصوفية لأشتمالها على ذكر الله تعالى وقراءة كتابه والصلاة والسلام على رسوله ﷺ وعلى مدائح الأولياء والسادة الأصفياء رضي الله عنهم. ويحمل كلامه هذا على من كفَّرهم لمجرد هذا المذكور من غير ضميمة شيء من المنكر التي قد تقع في مجالس كثير من المنتسبين إليهم وليسوا متحققين.

وقال سيدنا القطب الفرد العلامة الكبير السيد محمد مهدي ءال خزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس عطر الله مرقده الشريف في «وثيقته الوسطى» خاض بعض من يزعم العلم عن جهل بالقوم

وفسّق من يحضر مجالسهم، وقولهم هذا قول حرج مخالف لكتاب الله مباين لسنة رسول الله ﷺ وفيه محظور عظيم وهو جعل الطاعة معصية وفيه الحكم بغير ما أنزل الله وفيه حمل المسلمين على السوء والتهجم على نيات المسلمين والنبي ﷺ يقول **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»**، فإن قالوا نرى منهم الجاهل والذي لا يعرف الآداب الشرعية ومع ذلك فهو يتواجد ويرعد ويزبد ويقوم ويقعد قلنا لهم إن السواد الأعظم من الأمة على جهل بالآداب الجليلة الشرعية، والعلماء في كل عهد وعصر قليلون وتواجد الجماعة مبناه صدق القلب بذكر الله وصحة الارتباط برجال الله والاعتصام بحبل الله والحب لله ولرسول الله ﷺ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن لعن نُعيمان حالة كونه شاربًا للخمر حينئذ وقال **«لا تلعنوا نُعيمان فإنه يحب الله ورسوله»** وجعل العلة لعدم اللعن له وهو في الحالة التي كان عليها حبه لله ولرسوله ﷺ فكيف يفسق ويلعن ويهان ويحقر عبد وقف على الأقدام لله مهيّما بذكر الله مصليًا على رسول الله ﷺ طيب القلب والخاطر بسماع ذكر الأنبياء والصديقين والأولياء والصالحين، وأنه لا يتجرأ على تفسيقه ولعنه وتكفيره إلا المجازف الملحد الذي يجسر على الحكم بغير ما أنزل الله ويهجم بغروره على أذى المسلمين. ومثل هذا فيكفر وهذا لباب ما عليه أكابر علماء الدين وأئمة المسلمين الناطقين بالحق الآخذين بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ على أن أئمة الدين ما اختلفوا في إكفار الخابط بأحكام الشريعة المحمدية المحرف لأحكامها المجتذب لها بعزم رأيه المجازف فيها الذي يريد أن يجعل حكم الله زمام غرضه يدور به كيفما يريد انتهى.

وقال العماد إبراهيم الحلبي رحمه الله في جوابه لرجل سأله عمن ينكر على السادة الصوفية ذكرهم والمد الذي يقع منهم حالة

الذكر للاسم الكريم ترويجًا للمبتدي وتعظيمًا للذكر ما نصه: لا يجوز الإنكار عليهم ومن أنكر عليهم من غير إقرار منهم أنهم يتعمدون ذلك المدّ بنية القراءة للقرءان العظيم فهو مخطئ مجازف في دين الإسلام فيستحق التأديب والمنع من التكلم في العلم الشريف من غير تأمل وتبصر وتحقق وتكفيره كفر منه فيجب عليه تجديد إسلامه.

وقال شيخنا العلامة الأكبر القطب الأشهر السيد محمد بهاء الدين مهدي الصيادي الرواس عطر الله ضريحه أما الفقهاء الصالحون والعلماء العاملون فكل ما حطّوا به من المنع والنهي عن رقص المتصوفة والحضور بمجالسهم فهو مقصور على المتصوفة لا على الصوفية إذ المتصوفة فيهم من يقول بالحلول والاتحاد ويتشدَّق بالوحدة المطلقة ويكذب على الله وعلى خلقه ويخدع الجهلاء فينزلق بأقدامهم إلى الباطل ويبيح لهم المحرمات ويصرعهم حتى يخرجهم من قوانين الشريعة الغراء فيصير أحدهم شيطانًا مريدًا لا سالكًا ولا مريدًا.

ويقول كلهم بالشطحات المردودات والكلمات المكفرات ويستترون بالاجتماع على حلقة ذكر يدخلون أنفسهم اسمًا في الصوفية وليسوا منهم فمثل أولئك من أرباب الضلالة لا محالة وتنفير الناس منهم وإبعادهم عنهم من الواجبات الدينية ومن لباب الأحكام الشرعية كيف لا وقد قال ﷺ: **«الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة»** الحديث، فالعلماء والفقهاء الكمل أعيان الدين وعلماء المسلمين هم أعلم الناس بمقادير السادة الصوفية الذين هم صفوة الأمة المحمدية الزاهدون الخالصون المباركون الذين يُدرُّ ببركتهم الضرع وينبت الزرع المنعوتون بنص الكتاب المكنون بمنشور ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

﴿يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [سورة يونس]. ونتيجة العمل التحلي بالحال المحمدي الباطني فالقوم رضوان الله تعالى عليهم صرفوا الهمم بالاتباع حالة العمل للجناب الطاهر المحمدي بقصد التحلي بحاله عليه الصلاة والسلام فظهرت فيهم حسب استعداد كل واحد منهم أحواله الكريمة ﷺ ولذلك يقال لهم أهل الأحوال أي الأحوال الشريفة المحمدية فإذا ثبتت فيهم أحواله النورانية صارت لهم مقامات ورفعتهم بنهضة عزمه المقدس إلى أرفع الدرجات وهناك يتحفهم الله تعالى بالكرامات ويظهر على أيديهم خوارق العادات، ويقلب لهم الأعيان، ويصرف أرواحهم الشريفة في الأكوان، فجاحدهم مقهور، وحاسدهم ممكور ولا يجتمع الظلام والنور، ولا الظل ولا الحرور، وزيغ الحاسد والجاحد يذهب سدى والسلام على من اتبع الهدى.

ثم قال شيخنا رضي الله تعالى عنه: وبعد يا هذا الفقيه إن كنت صادقًا في محبة الله وتريد نصرة شريعة رسول الله ﷺ فأنصف ولا تجازف؛ القوم يقولون لك نريد من هذه العادات ـ حالة كونها ذات أصول في الشرع ـ ترويح القلوب وتنشيطها لتفزع إلى الله ولتسكن زفرة النفوس ولتأخذ بالذل والانكسار إلى الله ولتعمل بالشفقة على خلق الله، ولتتمسك بسنة رسول الله ﷺ ولتحب أحباب الله أولياء الله فكيف ينبغي لك أن تدفعهم إلى الوقوف تحت الحدود ولم تشقق على قلوبهم، ولا يطلع على القلوب إلا علام الغيوب، وتراهم وقد برأ الله تعالى ألسنتهم من القول بالوحدة المطلقة ومن نزعات القول بالحلول والتشدق بالشطحات طابوا بالله، وفرحوا برسوله ﷺ ووقفوا عند الحدود، ورضوا بالموجود، وصبروا على المفقود، وأوفوا بالعهود وسيد الكائنات عليه أجل الصلوات قال: «**ادرأوا الحدود بالشبهات**» فهلا صنت.دينك من الوقيعة بمثل هؤلاء

القوم الذين هم أهل لا إلٰه إلا الله وليس لهم إلا الله والله غيور انتهى كلامه الشريف.

أما ما ورد في الحديث: إنّ الله يغار وغيْرته أن تؤتى محارمه ليس معناه أنّ الله يحصل له تأثر وانفعال بل معناه أن الله يكره من عبده أن يقع في المعاصي والمحرمات.

قلت: ورجال الطُّرُق الشريفة كلهم رجال طريق واحد وهو الطريق المبارك المحمدي ولا خلاف بينهم وإنما الاختلاف الذي نراه في العادات هو كاختلاف رجال المذاهب في مذاهبهم ومع ذلك فكل عاداتهم مستندة إلى أصول في السنة ولا يجهلها ذو فضل وصاحب علم إلا أن يحرف الحق، أو يرتكب العناد المطلق، وأما الحط الذي يقع من بعض رجال الطوائف على رجال طوائف أخر فإن كان لنصرة حق وادحاض باطل فهو أمر جار في المذاهب والمشارب معمول به عند العلماء والصديقين وعباد الله الصالحين وشرطه أن يكون لله لا يمزج بغرض نفساني ولا بمرض شيطاني، وعلى الناصح أوَّلا الرفق وعلى من تبذل له النصيحة القبول فإن أصرّ على غَيّه ووقف مع الباطل يجب أن يغلظ عليه، وأن توجّه سهام الملام إليه، إلى أن يفيء إلى أمر الله وإن كان الحط ناشئًا عن سوء نية وخبث طوية وقصد أذًى لمسلم ففاعله لا بد وأن يَبُوءَ بغضب من الله وكيف يفلح من يتجرأ على الأذية والخيانة للمسلمين والله تعالى قال في كتابه العزيز ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة يوسف].

ولا يغرنك أيها المحب ما تعرّض به بعض الأسلاف، وتشبث به من أولي الوقاحة بعض الأخلاف، من الكلام على طرق الصوفية ورجالها أرباب أشرف المزايا السنية كالعلامة ابن الجوزي طاب ثراه في كتابه المنسوب إليه المسمى بـ «تلبيس إبليس» فإن الكثير

نهوا عن مطالعته ومنهم الشعراني ومنهم من قال بأنه دس فيه شيء لم يكن من كلام المصنف ومع ذلك فقد حط فيه على علماء السوء ودخلاء صنف حملة الشرع من أهل الفجور، وأرباب الزور والغرور وأعظم أهل طريق الحق وبيّن شأن علم التصوف وحكمه عند القوم كالجنيد والسري والكرخي وأمثالهم وهم سادة الطريق فإن كان ثم صحة لما نقل عنه فما هو إلا فيمن انحرف عن الطريق المستقيم وزلّ عن المنهاج القويم وذلك مثله مثل علماء السوء الدجاجلة باسم الشرع الذين ذكرهم ابن الجوزي وفضحهم وهم كثيرون سيما في زماننا هذا فالرجل منهم يجحد المعروف ويكفره، ويختلق الزور وينشره والآخر يشرب الخمر ويرتكب الموبقات في السر والجهر، والآخر يقوم بثوب العلماء الأطهار، ومعتقداته معتقدات أهل الزيغ من الأشرار الفجار وبعد هذا كله فإنه ينتقد على رجال الطرق العلية الوقوف في مجالس الذكر، ويؤاخذهم بما لا ينطبق على قاعدتي نهي أو أمر، يتلقّف الكلمات المنقولة، ولو هي غير مقبولة، فيحكم بها لزيغه وضلاله، وينسى ما سربل به من سوء حاله وقبح فعاله، فالطعن منه في غيره محقق، وهو عن عيوب نفسه في ظلمة العمى المطلق، فما مثل ذلك اللئيم إلا كمثل الشيطان الرجيم، وهنا لزم أن نتكلم على عادات القوم ومجالسهم وأذكارهم وأورادهم ومشاربهم الشريفة والحق يعرف أهله وتُعرف به أهله والسلام.

لا ريب أن الطريقة السهروردية والجشتية والقادرية والسعدية والنقشبندية والشاذلية والبدوية والدسوقية والمدنية والمولوية وطريقتنا العلية الرفاعية بل وكل فروعات الطرق المباركة المرضية هي كما تقرر مرارًا وتقدم تكرارًا طريقة واحدة سيد ركبانها، وقائد أعاظم فرسانها هو سيدنا ﷺ.

وهذا هو مذهب القوم في طرائقهم وبه زالت كلمة الخلاف بين الأمة وقد أوضحنا لك أن أصل الطرق المباركة واحد وهذه الفروع كلها تنتهي إلى الأصل فلا فرق بين الطرق ومسالكها ومناهجها ورجالها وما أعذب قول شيخنا القطب الجليل الرواس رضي الله عنه في هذا المعنى المبارك ونصه.

طـريـق الـقـوم أهـل الله واحـد
فـقـل لابـن الـزوايـا والـمـسـاجـد

أبـوك ولـي أمـرك يـوم تـسـري
ومـا الـبـاقـون بـالـقـوم الأبـاعـد

فـأيِّـد مـجـد والـدك ابـتـهـاجـا
وعـظِّـم قـدر إخـوتـه الأمـاجـد

وخير ما يفسر ويبين طريق أهل الله تعالى السيد الهمام محبوب جده عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم الولي الكبير السيد أبو العلمين أحمد الرفاعي رضي الله عنه فيقول: «الطريق واضح» صلاة وصوم، حج وزكاة، والتوحيد والشهادة برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام أول الأركان واجتناب المحرمات حال المؤمن مع الله؛ وهذا هو الطريق. ومن حال المؤمن مع الله أيضًا ذكر الله تعالى كثيرًا. ومن أدب الذكر صدق على قدم العبودية بالتمكن الخالص والتدرع بدرع الجلال لصدق التجرد عن غيره وكل من رءاه هابه. ويسقط من بوارق هيبته على قلب الرائي ما يجعل هشيم خواطره الفاسدة هباءً منثورًا وإذا كان الأمر على غير هذا المنوال، فأحسنه بالنسبة إلى العامة التمكن. وضبط القول، وجمع الأدب الباطني والظاهري مهما أمكن، وكف الطرف عن النظر إلى أحد.

لله در هذا الإمام الكريم ابن الكرام أهل البيت عليهم الرضوان

وأجل السلام الذي باع نفسه وروحه لله فقام بالخدمة لنصرة سنة سيد الأنبياء والمرسلين، فقد كان في بلده أم عبيدة كلب قد أصابه الجرب العظيم فانسلخ جلده وعمي وصار يصعب على الناس أن ينظروا إليه. فأخرج وطرح خارج أم عبيدة فعرف السيد أحمد الرفاعي حال الكلب فجعل يتردد إليه بسراج ويحمل إليه دهنًا ودواء يطليه به وخبزًا يطعمه وماءً يسقيه وعمل له مظلة يظلهُ من الشمس ولم يزل يتردد إليه كذلك حتى زال عنه الجرب وَبَرَأَ فحمّى له ماء وحمله إليه ثم غسله بذلك الماء وكان يتعاهده بعد الشفاء بالخبز والماء. وكان السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه قد نام يوم الجمعة قبل الصلاة فجاءت هرة فنامت على كمه فاستيقظ فوجدها نائمة عليه، فلم يسهل عليه أن يزعجها من نومها فطلب إلى زوجته الصالحة مقصًا فأتت به فقص كمه وتركه تحت الهرة ومضى إلى الجامع فصلى. فلما رجع من الجامع وجدها قد استيقظت فأخذ كمه وخاطها فلامته زوجته على ذلك فقال لها: أي بنت الشيخ الصالح ما كان إلا الخير وهذا ما تعبنا وحصلت الحسنة. وكان يمشي إلى المجذومين والزمنى في أماكنهم فيغسل ثيابهم ويفلي رؤوسهم وثيابهم من القمل ويحمل إليهم الطعام ويأكل معهم ويجالسهم. ويسأل الله تعالى لهم العافية ويسألهم الدعاء. ويقول زيارة هؤلاء وخدمتهم من المؤكدات وكذلك كان يفعل مع العميان والمرضى والعرجان وكان يقضي حوائج العجائز والأرامل من النصارى ويخدمهم ويحسن إليهم حتى أسلم خلق كثير منهم على يديه وكانوا يسمونه أبو الأيتام وربما سمع بمرض أحد من الفقراء في غير بلده فيخرج إليه فيعوده ويخدمه. ثم يرجع بعد يومين أو ثلاثة. وكان يقف في الشارع يقصد أنه يقود العميان فإذا قاد أحدهم قبّل يده وسأله الدعاء. وكان يتفقد الشيوخ الذين عجزوا

عن الذهاب إلى بيت الخلاء وصاروا يتغوطون على ثيابهم فيخلعها ويغسلها وينشفها ثم يلبسهم إياها. ويوصي جيرانهم بهم ويقول الشفقة على خلق الله مما يقرب العبد إلى الله تعالى.

لله دره حيث يقول: أي سادة عظموا شأن الفقهاء والعلماء كتعظيمكم شأن الأولياء والعرفاء، فإن الطريق واحد. وهؤلاء ورّاث ظاهر الشريعة، وحملة أحكامها الذين يعلمونها الناس. وبها يصل الواصلون إلى الله. إذ لا فائدة بالسعي والعمل على الطريق المغاير للشرع. ولو عبد الله العابد خمسمائة عام بطريقة غير شرعية فعبادته راجعة إليه ووزره عليه ولا يقيم له الله يوم القيامة وزنا. وركعتان من فقيه في دينه أفضل عند الله من ألفي ركعة من فقير جاهل في دينه. فإياكم وإهمال حقوق العلماء وعليكم بحسن الظن فيهم جميعًا. وأما أهل التقوى منهم العاملون بما علمهم الله فهم الأولياء على الحقيقة، فلتكن حرمتهم عندكم محفوظة. يروى عنه عليه الصلاة والسلام: **«من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم»** وقال ﷺ: **«العلماء ورثة الأنبياء»** الحديث. هم سادات الناس وأشراف الخلق والدالون على طريق الحق، لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة: نحن من أهل الباطن، وهم أهل الظاهر. هذا الدين الجامع باطنه لبُّ ظاهره وظاهره ظرف باطنه لولا الظاهر لما بطن لولا الظاهر لما كان الباطن ولما صح. القلب لا يقوم بلا جسد. بل لولا الجسد لفسد. والقلب نور الجسد. هذا العلم الذي سماه بعضهم بعلم الباطن هو إصلاح القلب، فالأول عمل بالأركان وتصديق بالجنان. إذا انفرد قلبك بحسن نيته، وطهارة طويته، وقتلت وسرقت وزنيت، وأكلت الربا، وشربت الخمر، وكذبت وتكبرت وأغلظت القول؛ فما الفائدة من نيتك وطهارة قلبك؟ وإذا عبدت الله وتعففت وصمت وتصدقت وتواضعت وأبطن

قلبك الرياء والفساد؟ . فما الفائدة من عملك؟ ـ معناه المرائي لا يستفيد من عمله إلا الإثم ـ فإذا تعيَّن لك أن الباطن لب الظاهر والظاهر ظرف الباطن ولا فرق بينهما، فقل: نحن من أهل الظاهر وكأنك قلت: ومن أهل الباطن قل: نحن أهل ظاهر الشرع، وقد ذكرت باطن الحقيقة. أي حالة باطنة للقوم لم يأمر ظاهر الشرع بعملها؟ أي حالة ظاهرة لم يأمر ظاهر الشرع بإصلاح الباطن لها لا تعملوا بالفرق والتفريق بين الظاهر والباطن، فإن ذلك زيغ وبدعة. لا تهملوا حقوق العلماء والفقهاء. فإن ذلك جهل وحمق ولا تأخذوا بحلاوة العلم وتبطلوا مرارة العمل. فإن تلك الحلاوة لا تنفع بغير تلك المرارة. وإن تلك المرارة تنتج الحلاوة الأبدية. ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الكهف] نص قرءاني يشهد لكم بالمكافأة على الأعمال. والإخلاص أن يكون العمل لله لا لدنيا مع حسن الظن به سبحانه وتعالى في كل حال من الأحوال، وعمل من الأعمال وقول من الأقوال، إيمانًا به، وامتثالا لأمره، وطلبًا لمرضاته.

«أي سادة» تقولون قال الحارث قال أبو يزيد قال الحلاج ما هذا الحال قبل هذه الكلمات؟ قولوا: قال الشافعي قال مالك قال أحمد قال نعمان، صححوا المعاملات البينية وبعدها تفكهوا بالمَقولات الزائدة. قال الحارث وأبو يزيد لا ينقص ولا يزيد. وقال الشافعي ومالك أنجح الطرق وأقرب المسالك. شيدوا دعائم الشريعة بالعلم والعمل. وبعدها ارفعوا الهمة للغوامض من أحكام العلم وحكم العمل. مجلس علم أفضل من عبادة سبعين سنة ـ أي من العبادات الزائدة عن المفروضات التي يتعبد الرجل بها بغير علم ـ قال ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزمر]. أشياخ الطريقة وفرسان ميادين الحقيقة يقولون لكم: خذوا

بأذيال العلماء. لا أقول لكم تفلسفوا. ولكن أقول لكم: تفقهوا «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» انتهى من كتاب البرهان المؤيد.

ولقد سئل الإمام الأجل شاه نقشبند بماذا يصل العبد إلى طريقكم؟ فقال: بمتابعة سنة رسول الله ﷺ.

وقال رحمه الله تعالى أيضًا: «إن طريقتنا من النوادر، وهي العروة الوثقى، وما هي إلا التمسك بأذيال متابعة السنة السنية واقتفاء ءاثار الصحابة الكرام..!

وكتب الشيخ الغجدواني رحمه الله تعالى وهو واضع أصول الطريقة النقشبندية إلى أحد تلاميذه يقول: «يا بني أوصيك بتحصيل العلم والأدب وتقوى الله تعالى، واتبع ءاثار السلف الصالح ولازم السنة والجماعة، واقرأ الفقه والحديث والتفسير، واجتنب الصوفية الجاهلين، ولازم صلاة الجماعة بشرط ألا تكون إمامًا ولا مؤذنًا وإياك والشهرة، فإنها ءافة، وكن واحدًا من الناس، ولا تمل لمنصب ولو كان محمودًا؛ كالقضاء والفتوى.

وقال الإمام محمد مهدي بهاء الدين الرواس رضي الله عنه في كتاب «الكليات الرفاعية»[1]: «تهجم أهل الأغراض من المتفقهة، وتبعهم المتقشفة فأغلظوا على السادة الصوفية، ردّوا أخبارهم، وأنكروا أذكارهم، وكل ذلك بغي وفيه هدم لجدران الحال النبوي، وسد لباب الفتح المحمدي، والحق يقال: يرد ويجحد ما أدخله زمر الشطاحين وأصحاب الدعاوى وأرباب الخوض والقول بالوحدة المطلقة والحلول وأمثال ذلك من الطامات على طريق القوم ونسبوه للأكابر من رجال الطائفة وكله مكذوب عليهم، وهم

---

(١) انظر الكتاب (ص/٥٦).

مبرؤون منه، بعيدون عنه، فسلم للقوم سليم أحوالهم، وتباعد عن الشطاحين، وأهل الدعاوى العريضة والمخلطين وأقوالهم، وقف مع الحق، والله نعم المعين للمحق وكفى بالله وليًّا» اهـ.

وقال أيضًا مبينًا معالم الطريق الصحيح إلى الله:

أقسام الموجود ثلاثة:

١ ـ موجود أزلي أبدي فهو الله الذي لا إلٰه إلا هو الأول الآخر، الباطن الظاهر، وهو على كل شيء قدير.

٢ ـ موجود أبدي غير أزلي وهو الآخرة.

٣ ـ وموجود غير أزلي وغير أبدي وهو الدنيا.

فإذا عرف العارف أن الدنيا منقطعة الالتحاق بالأبد وتدبَّر عمره فيها أقبل بكليته على الله طمعًا بحصول القرب منه والرضا من لدنه في الدار الآخرة الأبدية الباقية سبحان الله عما يشركون. وما أقبح فهم من ظن أن القوم أهل الله العارفين بالله يحثون بهذا الفقه الكريم على تخريب الدنيا، والانقطاع عن مصالحها، ويزين له الشيطان أن القوم إنما هم قطاع لطريق عمارة الدنيا ليبعده الشيطان عنهم لما في نفس ذلك القبيح الفهم من حب الدنيا والميل عن الآخرة والبعد عن الله تعالى.

إن طريق السلف من عهد النبي ﷺ وتابعيه من ءاله وأصحابه ومن تبعهم عليهم رضوان الله أجمعين إنما هو خروج المرء بنفسه عن الميل إلى الدنيا بصدق اليقين بالله، وصحيح التوكل عليه، والعمل بأوامره، والاجتناب لما نهى عنه، وكل هذا مقرون بالسعي الكامل والاهتمام الشامل بجميع ما تصله قدرة المرء لنفع الناس، وإعمار شأن الدين والمسلمين، والغارة كل الغارة لإعلاء كلمة الله، وإفشاء السلام وإطعام الطعام، وبذل الخير للفقراء

والمساكين، وإفاضة البر للمستحقين، وصون الطرقات، وردع الظالمين ونصر المظلومين، وإحياء معالم الدين، وهل يقوم ذلك إلا بقوة الشكيمة؟ وكامل العزيمة؟ والأسباب الصالحة لإقامة تلك الدعائم، وإثبات هاتيك الحقائق العظائم؟ وحينئذ فلا يكون زهد المرء في نفسه كاملًا إلا إذا استكمل الحقائق الدينية، وعمل بلوازمها المعنية، التي نبهنا عليها، وأشرنا إليها، وهنالك خسئ الوقح السقيم الفهم الذي اتهم طريق القوم بالبطالة والكسالة ويقال:

وكم من عائب قولا صحيحًا
وءافته من الفهم السقيم

ألا أن مشرب القوم هو حال رسول الله ﷺ الذي وطّد المجد للدين، وأعزّ عصابة المسلمين، وسارت مواكب عزمه في العالمين، ونصر بالرعب مسافة شهر، وضجت الأكوان باسمه، ورجفت فرائص ملوك الأرض في عهده بل وإلى الآن، وفي كل مكان وزمان، وقد مات ولم يشبع من خبز الشعير، على أنه أعطى ما بين لابتيها غنمًا وملأ رداء عمه العباس ـ رضي الله عنه ـ ذهبًا، وأعطى عطاء من لا يخاف الفقر وتبعه الصديق الأكبر ـ رضي الله عنه ـ على هذا المذهب وشرب منه صلوات الله عليه ذلك المشرب، وردّ أهل الردة على أعقابهم، ومات على قطيفة لم يكن عنده في بيته سواها، فأمر بها فأعيدت إلى بيت المال. وكذلك الفاروق الأعظم رضي الله عنه فتح الأقطار ومصر الأمصار، وعزّ به الدين واستنار، وأزال الدول وقطع ووصل، وخطب عام وفاته وعليه ثوب فيه أربعون رقعة أحدها من أدم. وهكذا ذو النورين والأمير والد السبطين العظيمين، بل ولكل من له من نورهم قبس، ومن حال النبي ﷺ نَفَسْ، فهو على هذا المنوال، رفيق تلك الخلال، والقوم أهل الولاية والإرشاد لهذا المنهج القويم،

والصراط المستقيم، دلوا المسلمين على مشرب نبيهم وجليل حاله وليس لهم رضي الله عنهم سوى منصب الولاية، والموفق الهادي هو الله. من كتاب البطاقة المهدوية.

وهذا الجنيد رضي الله عنه سيد القوم وإمامهم كما وصفه القشيري قال في هذا الموضوع من لم يحفظ القرءان ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة. الرسالة القشيرية.

ومن وصايا مولانا خالد النقشبندي قدس سره العزيز: أما بعد فأوصيكم وءامركم بالتأكيد الأكيد بشدة التمسك بالسنة السنية والإعراض عن الرسوم الجاهلية والبدع الردية وعدم الاغترار بالشطحات الصوفية.

تحذيرُ العوام من زور الطغام
المصابينَ بشر العمى وأسوإ الأفهام

ذبابٌ رأوا فوق الجبال وجودهم
ألا هم ذباب والجبال جبال

يقول الإمام الرواس رضي الله عنه في «النصيحة القدسية»:

تمسك بذي علم منير على هدى
فأهل الهدى مثل النجوم الزواهر
وإن أخا علم به الزيغ كامن
أضر على الإسلام من ألف كافر

وقد يقوم بشقشقة اللسان أناس يدعون على زعمهم إلى الدين، وما هم منه بشيء، يخبطون في الأحكام، ولا يميزون بين الحلال والحرام، يريدون جعل الأحكام طوع ءارائهم، يتزلفون للمخالفين والخصوم، بلقلقة من منطوق ومفهوم، يحرفون بها الكلام عن مواضعه، يستندون عن رأي إلى ءاية أو حديث أو خبر؛ هم عن كل فحاويها بمعزل، الحقيقة بمنزل، وهم بمنزل، إياك إياك أي طالب الحق أن تلفت نظرك إلى سطورهم، فهي دون أساطير الأولين، أو أن تستهوي عقلك لآرائهم فإنهم من الضالين، وعليك بجماعة المسلمين أهل العلم المتبع والحق المبين، الذين وافقوا الإجماع، وخالفوا أهل الابتداع، وابتعدوا عن الرعاع، وقاموا لنصرة دين الله فعملوا بما علموا انقيادًا لما روى عنه ﷺ **«من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم»**. الصحيفة ـ ٥٨ من كتاب الدر والالماس من نثر ونظم السيد الرواس.

صِفَة الأوليَاء
وَفائِدَة محبتهم وعقوبة بغضهم وازدرائهم

قال الإمام الرواس رضي الله عنه في كتابه «رفرف العناية» وذكر رجال سنده إلى سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا»** وهذا الذوق المنبعث عن هذا الرضا هو المعرفة بالله تعالى. والمعرفة نور أسكنه الله تعالى قلب من أحبه من عباده. ولا شيء أجل وأعظم من ذلك النور. وحقيقة المعرفة حياة القلب بالمحيي ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة الأنعام]. وقال تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة يس] وقال تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النحل].

وقال سبحانه: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الأنفال] فمن ماتت نفسه بعدت عنه دنياه ومن مات قلبه بعد عن مولاه. ولما قامت بحكم الحياة الدائمة بالله قلوبهم الطاهرة قربت من الله. وقرب سره المقدس منها فهم ودائع مدد الله وخزائن أسراره، إليه يرجعون، وبه يهيمون، وعليه يتوكلون، وإلى غيره لا يلتفتون، وكل ما يحمل على أكابرهم وأصاغرهم، خفيهم وظاهرهم من الشؤون التي تمس زفرة هذه الدنيا الفانية، فحقيقتها خلاف ما حملها عليهم الكذابون، وأضافها إليهم الباغون وهم رضي الله عنهم على مشارب وأطوار فمنهم صاحب المظهر القهار ومنهم المتحلي بالتجرد عن الآثار. ومنهم الملتحف برداء التعزز والوقار، ومنهم المتطيلس بطيلسان الذل لله والانكسار، ومنهم الشرعي الانبلاج، ومنهم البحر العجاج، وكلهم ثقيلون على أهل النفوس الملوثة بأغراضها والقلوب المقومة بأمراضها. وهم غرباء

عن جنس أولئك، ولذلك فهم كما قال فيهم رسول الله ﷺ «**من يبغضهم أكثر مما يحبهم**» لمخالفتهم لما عليه النفوس وأربابها. والمقاصد الفاسدة وأصحابها.

وقد روي «من أحب الله فليتخذ للبلاء جلبابًا» فالابتلاء لأحباب الله تعالى لا بد منه. ولكن لهم الغلبة على من عاداهم والنصرة على من ناوأهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المجادلة]. ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة يونس] وكل أهل زمان لهم من الله حظهم بمقدار احترامهم لأهل الوقت من أهل الله، ومحبتهم لهم، وحسن ظنهم بهم، وصدق الموالاة لهم، وخالص الاتباع لمناهجهم، وسلوك طريقهم والتخلق بأخلاقهم، وإعظام شأنهم، والعكس والعياذ بالله بالعكس، فإن إهانة أهل الله والكذب عليهم، وإهمال حقوقهم وهضم مقاديرهم ينتج عن زيغ تزفر به القلوب وخبث تنطوي عليه النفوس. ومتى طمت هذه الأوصاف القبيحة قومًا من المسلمين نرى الخزي يطمهم والفشل يعمهم والذل يكتنفهم. ويدعون فلا يستجاب لهم، لأن القوم أهل الله أمناء النبي ﷺ في الأمة. وهم العلماء بالله حقًا، العارفون بسنته ﷺ المتمسكون بها، الناصرون لها، المفرغون للأخلاق المحمدية في القلوب، الجاذبون لألباب الأمة إليه، صلوات الله وتسليماته، وتحياته عليه، فهم نقطة الجمع للقلوب على أمر الله وسنة نبيه وإعزاز كتابه وتعظيم أمره وتوقير أحبابه. فمتى أهملهم أهل الزمان انفكت جامعتهم وصارت قلوبهم شتى. وهنالك فلا عز لهم ولا مكنة ويسلط الله عليهم عدوهم وينزع المهابة منهم.

(روينا) بالسند من طريق الإمام أبي داود أن النبي ﷺ قال «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها**».

قال قائل: ومن قلة نحن يومئذ قال: «**بل أنتم كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**». قالوا: وما الوهن قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**» قلت: وهنالك ترى أي الأمر الإلٰهي يصير مجهولا ويهمل الشرع، ويؤخذ بالرأي، وتحصل الذبذبة في كل الأمور، وحينئذ فمتى جهل الأمر الإلٰهي تجرأ المأمور وقلّ العدل وكثر الجور، وذل المؤمن، وعز الجاحد وسد باب الهيبة، وتكلم الناس بغير ما في قلوبهم، وقبل قول العرف، واستحسن رأي العقل، واستجلب الناس من أقطارهم لأخذ الآراء، واجتمع الكل على غير أمر إلٰهي، وخاضوا في تشييد أركان العقل وقانون الأمر الرباني بين أظهرهم نراه متروكًا، وعظم على قلوب المسلمين لضعف إيمانهم خوف الكفار، وصادقوهم وصدقوهم وتقربوا منهم طبعًا وعملًا. وتقيدوا بقيود أفعالهم، وتلبسوا بلباسهم، وحسنوا سيرتهم، وقلدوهم بحالاتهم التي هم عليها، وانجر حبل الفساد، لضمير الاعتقاد، وبغض المتمسك في الدين لا لسبب، ونبح كلب الفسق، وأطلق القيد، فكل على ما يريد، وإلى ما يحب، ونسب الخيانة للمسلمين، وللكافرين الأمانة وحسن الطوية ومنع العارف الناصح وقرب الجاهل الطالح فهنالك تشتعل نار الأكدار، وينطوي بساط الألف من الألف، وتتغير الأحوال وتختلف، ويمحى سطر الحق عينيًا، ويكتب على الصحاف سطر الزور الباطل خطًّا جليًّا، وحينئذٍ الدين بلا عُمر، والقابض على دينه كالقابض على الجمر.

الاعتصام بالكتاب والسنة وسيلة الفتح والنجاة وسلاح عظيم على المخالفين وقال رضي الله عنه:

وكل من يزعم كشف حجب القلب عن القلب بغير الكتاب والسنة فهو ممكور، ولا بدع، فإن ءاداب الصديقين من الصحابة

والأهل والقرابة، كلها مأخوذة من هذين الأصليين العظيميين، فالنجاة في طريق الله بالتمسك كل التمسك بهما، وهما الجناحان لكل ذي همة تطير إلى الله، فمن أخذ القرءان واعتصم بسنة سيد ولد عدنان فقد وصل إلى الله بلا ريب، ولا عبرة بزعم من يأخذ بهما معتمدًا على رأيه، مفارقًا سيرة السلف الصالح الذين هم أعلم منه بأسرار كتاب الله تعالى، وبحقائق سنة نبيه ﷺ. قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء] والسلف الصالح أفرغ فيهم نبي الله عليه صلوات الله خلاله وطبع بألواح أسرارهم خصاله. فتحققوا بحاله وتطيلسوا برداء كماله فألحقهم بخاصة رجاله الناسجين على منواله ﷺ وعلى ءاله.

وقد رأى العارفون في أقطار ملك الله أن العمل بالسنة هو السبب الأعظم لهبوط العلم اللدني إلى قلوبهم وبه يعلمون أسرار الكتاب العزيز، فكأن السنة السنية بمنزلة المفتاح للكنز الفرقاني، بها يلهم الموفق موعظة وذكرى من حكم النص ولا يصلح له الأخذ بما يعظه به قلبه أو يذكره به إلا إذا عرض ذلك على السنة، إذ هي المفسرة لكتاب الله تعالى والمترجمة لأسراره. ومنها جرت ينابيع الحكمة إلى قلوب أهل الصفاء الذين علمهم نبيهم حكم الإخلاص، وحلاهم بحلية الإقبال على الله تعالى وسيوفًا مهندة قاضية بما قضى الله مريدة لما أراده حججًا على عباده وما هم إلا العلماء به العاملون بسنة نبيه ﷺ، عظمت مراتبهم وعلت مناصبهم وطافت في ملك الله وملكوته عزائمهم وقام على منصة النيابة الجامعة قائمهم. ولا تزال تلك الطائفة على الحق حتى يأتي أمر الله، يندلس بهم الدخيل وليس منهم. فيروي عن نفسه الملوثة ويزعم أنه يروي عنهم، نزه الله مقامهم وقدس بتأييده إلهامهم. هم

قوم أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم كلها موافقة للكتاب والسنة، لا يدخلون أحدًا في البين ولا يحجبون بنقطة الغين باصرة العين، علمهم فرقاني ومددهم محمدي وحالهم نبوي يدورون حول محور الشرع الشريف ولا يفارقونه قيد شعرة. طابت بمسك الشرع شيمهم وعلت بنهضته هممهم، ألجمهم أدبه عن كل كلمة زائدة وردهم زاجره عن كل عقيدة فاسدة، فعقيدتهم به طاهرة وكلمتهم صادقة وهمتهم عالية وقلوبهم من غير نور الحق خالية، رقت طباعهم حتى شاكلت النسيم، ونشرت من نفحاتها العنبرية ءاداب هي أطيب من نشر الروض البسيم أولئك أهل الله ورجال الله، فبمواعظهم انتبه، وخذ مناهجهم معراجًا، وطريقهم في مسيرك سراجًا وهّاجًا، وطب بشرابهم وصر من أحبابهم، ولا تبرح عن بابهم، وإليك أقول، الدين النصيحة ـ الدين النصيحة ـ الدين النصيحة.

وقال الإمام محمد مهدي الصيادي الرفاعي رضي الله عنه «في النصيحة القدسية»: «طرق العبادة بعد الإجماع الأخير أربعة قررها علماء الدين بموافقة أقوال الأئمة الأربعة المجتهدين إمامنا محمد ابن إدريس الشافعي المطلبي رضي الله عنه والإمام أبي حنيفة رضي الله عنه والإمام الأكمل مالك رضي الله عنه والإمام الأجل أحمد رضي الله عنه فهؤلاء صدور السلف وأئمة الخلف لا يشذ عنهم إلا من صرعه جهله أو غلبته نخوة نفسه فرأى لها شيئًا وهو لا على شيء. وما موافقتهم إلا تقييد إذ في الحقيقة الاتباع لا يكون إلا للمعصوم ﷺ وإنما قيدنا أفهامنا بالموافقة لعلمنا العلم اليقين أنهم أعلم منا بشريعة الله ورسوله ﷺ وحالة قربهم من مشارقة نور الرسالة ووجود الأئمة في الأمة فقد أجمعوا عليهم، وسلّموا أزمّة الإمامة في المذاهب إليهم فهم في مقام الموافقة المتَّبعون، وفي تبليغ الحكم المقلّدون، وإلا ففي الحكم فالمتبع سيد الكل في

الكل، وإمام دولة الرسالة في العقد والحل ﷺ ولنا الأخذ في بعض الأحيان بقول من لم نوافقه تقييدًا تقليديًا في الأعمال منهم علمًا بأنهم كلهم على هدى ولا نضيّق على الأمة فنخلط الجائز بالمستحيل فإن من يلعب في الدين على هذا الوجه ما هو إلا ضليل والذي قضى به الحق الموفق المعين إنما هو اتباع في سبيل المؤمنين».

ويقول في «الرقائق الرواسية» أيضًا:

«كتاب الله معدن الحكم ولكن من وقف برأيه مع ظاهر مفهومه من غير علم منصوص سقط والعياذ بالله في وهدة الهلاك بل عليه أن يأخذ حكمة أحكامه من سنة المفسّر الأعظم نبي الرحمة سيدنا وسيد العرب والعجم محمد ﷺ وسنته أيَّد الله مجدها مفاضة إلينا بالوسائط العالية الصادقة من الآل والصحابة والتابعين وأئمة الدين فإجماعهم حجة، وطريقهم محجة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [سورة النساء] فالموفق متبع غير مبتدع».

وقال أيضًا في رسالته «فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة» رضي الله عنه: «المادة الأولى الأخذ في المعتقدات بما أخذ به السلف الصالح من أهل السنة والجماعة الذين اتبعوا رسول الله وامتثلوا أوامر الله جلَّت قدرته ووافقوا السواد الأعظم من أئمة الدين عليهم رضوان رب العالمين فاقتدوا بإمام من الأربعة الأعلام الذين جمع الله تعالى عليهم كلمة الأمة واتبعوا في كل أعمالهم المعصوم الأعظم ﷺ واتخذوا الإمام قدوة في طريق الشرع كالذي يدل الرجل على الهلال بإشارات وعلامات حتى إذا رأى الهلال اكتفى برؤيته عن غيره، والإمام أعلم من المقتدي بدقائق الشرع وعلوم

الصحابة ورواياتهم وأحكام اتفاقهم واختلافاتهم وأوثق في علم الترجيح لإحاطته أكثر ممن دونه؛ وكل نص فرعي جاء في المذاهب أخذ به المتأخرون ووضعوا لمعناه اسمًا فهو مستند إلى أصل صحيح من عمل النبي ﷺ أو قوله العالي أو إلى عمل أخذ الآل والأصحاب ينشقّ عنه وجه يؤول إلى الأمر المطاع عليه الصلاة والسلام فاتبع أيها المحب سبيل المؤمنين ولا تزلق مع الهالكين، وكن مع الصادقين، والله وليّك والسلام».

وقال رضي الله عنه في الرسالة التي مر ذكرها: «المادة السادسة التباعد عن البدع القولية والفعلية التي تزلق عن طريق السلامة والعياذ بالله كالقول بالحلول والاتحاد، وكالدعوى العريضة والشطح المتجاوزين حد التحدث بالنعمة، وكرد النصيحة وإحقار الصالحين والمساكين وحب الأغنياء والمتكبرين، والتقرب من أهل الزيغ والبدع والإلحاد، وكصحبة الكذابين وترك الصادقين؛ فالتباعد عن البدع القولية والفعلية التي تماثل ما ذكرناه دأب الصالحين، ومنهج العارفين، والله خير الناصرين».

الفوائد في ردود
الشيخ محمد الحامد على اعتقاد أهل الحلول الفاسد

زيادة بتعميم الفائدة أحببت نقل هذه الفوائد الجليلة من كتاب أعلام المسلمين العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى للأستاذ عبد الحميد طهماز من صفحة ١٥٧ حيث يقول المؤلف[١]:

«ووفاءً للحق وتبيانًا له أثبت فيما يلي ما كتبه سيدي رحمه الله تعالى عندما كان في مصر إلى شيخه ومرشده سيدي الشيخ محمد أبي النصر قدس سره ليظهر لنا كيف كان رحمه الله يسير في طريق التصوف على بصيرة ورشاد يقيس كل أمر يعرض له بمقياس الشرع الذي أمر به وأخلص له ودافع طيلة حياته عنه. وهذه الرسالة من عيون كنوزه العلمية، وذخائره الأدبية، ولذلك أثبتها فيما يلي بكاملها.

قال رحمه الله تعالى



الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى ءاله وصحبه ومن والاه. من العبد الفقير إلى الله تعالى محمد الحامد إلى سيده ومرشده الأستاذ الشيخ محمد أبي النصر قدس سره:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فإني ألثم يدكم الشريفة بشفة الروح سائلًا الله تعالى أن يحفظ فيكم بقية

---

(١) انظر الكتاب (ص/١٥٧).

الصالحين، ويديم مناركم عاليًا وذكركم ساميًا، وبعد: فإني مستشعر تقصيري إذ لم أحدث بكم عهدًا كتابيًّا بعد أن كتبت إليكم أوائل ذي الحجة الماضي، وقد يظن أن هذا الانصراف عن الكتابة لذهول أو نسيان، أو لإطراح للمودة وهجران للمحبة. إنني أرجو من سيدي أن لا يظن بولده هذا الظن، فما أنا بالذي يقطع حبل المودة، ولست أجفو من حنا علي وبرّني، وكان لي الدوحة التي أتظلل بها إذا حمي علي الهجير، ولأنا كما يقول ناظم الموال المصري:

يا سادتي إن نسيتوني أنا فاكر
وإن هجرتم؛ أنا لودادكم شاكر
وحياة من أنزل القرءان وفيه فاطر
غبتم؛ عن العين ما غبتم عن الخاطر

غير أن الهموم والأحزان التي ألحّت عليَّ في مصر غلبتني على أمري، وصرفتني عن أداء واجباتي نحوكم، ولعل الأوقات تصفو فأصفو وأعود سيرتي الأولى وأملي أن لا يكون هذا بعيدًا.

عندي أمور كنت مترددًا في مكاشفتكم بها، ولكن صح العزم مني على ذكرها في هذا الكتاب؛ لتعود الكتابة بالنفع على الكاتب، وقد يبسط الأدنى بين يدي الأعلى ما يساوره ويعرض له، وعلى هذا قام شأن أهل الشأن.

كنت سائرًا في كنف حسن الظن بالقوم عامة وبشخصيات منهم خاصة، مبتعدًا عما يحدث لي سوء ظن أو يخدش حسن اعتقادي بهم لا سيما وقد ضربتم لي بحالكم سيرة صالحة لأولئك الذين تتعطر بذكرهم المجالس وتجلو ذكراهم القلوب. كنت حريصًا على طيب قلبي نحو تلك الشخصيات، منصرفًا عن مطالعة كتبهم، لما شاع في الأوساط العلمية أن فيها ما يصطدم والشريعة المطهرة،

وإن المعتذرين عنهم يقولون إنها لعلوها عن مدارك حملة الشرع يظن بها ذلك، وهي على التحقيق روح الشريعة ولبابها، وحيث إني مقتنع بأني لست من ذوي الأفهام الدقيقة التي تنحل أمامها المشكلات، فقد رأيت أن أتحاشى جانبًا عن موطن النزاع، وأكون على اعتقاد الحسنى في المتنازعين قائلًا: إن الخلاف لفظي وإنهم متلاقون في نقطة واحدة، وهي البراءة مما توهمه العبارات ولا يفهمه إلا أهل الإشارات، وهكذا أصممت أذني عما يعكر علي حالي، ولكن هذا النوع من السير لم يطل بي خصوصًا في مصر وخصوصًا في هذا الزمن الذي ظهر به ما كان كامنًا، وانكشف ما كان يحرص الأشياخ على بقائه في خفائه، على أني تصاممت في أول الأمر، وتغافلت إلى أن صرت إلى حال لا ينفعني معها التصامم ولا التغافل إذ وقفت في مفترق لطريقين: حق، وباطل، وأيقنت حينئذ أني أمام حقيقة واقعة، وأن عليّ أن أميّز بين الحق والباطل، قيامًا بالتكليف الإلٰهي وتحقيقًا لمقتضيات الإيمان الذي به النجاة يوم يخسر المبطلون.

أما هذه الأمور فهي مما ترفضه الشريعة بالبداهة، إذ أن القول بها معناه التملص من حبال الدين، والتحلل من قيوده، فيما أوجبه من العقائد، وقضى بالمصير إليه والتزامه، وها أنا ذا مبتدئ بها تعديدًا واحدًا إثر واحد، والله المستعان.

الأول: في الرد على من قال بنجاة إبليس يوم القيامة. ألقى إليّ بعض الناس أن الشيخ عبد الكريم الجيلي صاحب كتاب «الإنسان الكامل» يقول بنجاة إبليس يوم القيامة، فدهشت لهذا النبإ الذي لا يتصور عاقل صدوره من مسلم يؤمن بالقرءان فضلًا عمن يومئ إليه كثير من الصوفية بأنه عارف محقق. وليت شعري ماذا يكون موقفنا من القرءان إن لم نعترض على هذا الزعم ولم نتشمر لجحده

وإنكاره؟ هل يكون إلا إهمالا له وهجرانًا، وتمسكًا بما يضاده علي طول الخط سمعنا الله تعالى يقول: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الحشر]. ويقول أيضًا: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة إبراهيم]. الآية وهي صريحة في أن هذه الخطبة لإبليس تكون في جهنم؛ لأن الإصراخ لا يكون إلا لمن كان تحت العذاب لحاجته إليه قيل لي: إنه يمكن الاحتجاج لهذا القول بقوله تعالى خطابًا لإبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة ص] حيث غيًّا «جعل لها غاية» بيوم الدين، فيمكن أن ينجو بعده. فقلت: هذا المفهوم معطّل بالآيتين السابقتين المفيدتين أنه في النار وأنه خالد فيها، وقد حكم الله تعالى عليه في ءايات كثيرة بالكفر والكفرة خالدون في النار أبدًا.

وعلى هذا، فقد قطعت بأن هذا القول كفر بواح، عندي من الله فيه برهان، وانضاف إليه علمي بعد مدة بأن الإمام الشعراني رحمه الله تعالى نص على أن هذا القول مكذوب على الشيخ محيي الدين والشيخ عبد الكريم الجيلي، فالحمد لله على ذلك، إذ تبينت أن ما هو كفر منحول لهما مدسوس في كتبهما، وهما بريئان منه.

الثاني: في الرد على من يقول بأن المطيع والعاصي سواء أمام الحق عز وجل.

أخرج بعض المعاصرين كتابًا ذكر فيه نقولا عجيبة عن بعض كتب القوم منها أن الشيخ الجيلي قضى في كتابه «الإنسان الكامل» بأن المطيع والعاصي سواء أمام الحق عز شأنه، لإطاعة كل منهم

في اسمه الهادي، والثاني أطاعه في اسمه؟؛ فكلاهما إذًا مطيع ومقرب ومثاب على طاعته.

قرأت القرءان فوجدت الله تعالى يقول: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة ص]. وسمعته يقول: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الجاثية]. ويقول أيضًا: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴿٣٦﴾﴾ [سورة القلم]. هذا قول الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ينفي المساواة بين أهل السعادة وأهل الشقاوة، فكيف يقدم مؤمن على القول بخلافه، وهل يكون سيدنا محمد رسول الله وحبيبه ﷺ كأبي جهل لعنه الله تعالى اللهم لا، وإن هذا الزعم باطل وكذب ظاهر لا يقبل التأويل، وإن أريد بأنهما سواء من حيث إن كلًّا منهما نفذت فيه إرادة الله، فهو مظهر لتحقيقها، فهذا حق، ولكنه لا يلزم فيه التساوي في إطلاق الطاعة عليهما؛ لأن الإرادة غير الأمر، وقد يريد الله من عبده ما يأمر بضده إذ ليست الإرادة الإلٰهية إلا التخصيص للشىء ببعض ما يجوز عليه لا الأمر به ولا الرضى عن فاعله لتنزه الله تعالى عن الأفاعيل النفسانية، والميول الطبيعية، وعلى هذا فالمطيع مثاب والعاصي معاقب.

الثالث: في الرد على من يقول بأن أهل النار يتلذذون فيها.

عزا هذا المعاصر إلى الشيخ الجيلي أيضًا أنه ذكر في كتابه «الإنسان الكامل» أن أهل النار يتلذذون فيها كما يتلذذ أهل الجنة بجنتهم. وهذا بناء منه على النظرية السابقة من أن المطيع والعاصي سواء أمام الحق عز شأنه.

عرضت هذه النحلة على القرءان الكريم فوجدته يقضي بخلافها

إذ يقول عز شانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة الإسراء]، ويقول: ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة المائدة]، ويقول: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة النساء]. والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا، فمن قال بخلافها فقد عطلها وكفر بها. وكنت رأيت هذا المعنى في كتاب «الفصوص» وشرحه، فقد قرر الماتن وتبعه الشارح الجزائري أن العذاب ينقلب على أهله عذوبة في النهاية فهم فيه متلذذون. هذا والقرءان ناطق بعكس ذلك تمامًا إذ هو مصرح بالخلود في العذاب لا في العذوبة. وأين هو منها، الشريعة تقضي على قائل هذا القول بالكفر لأنه لم يؤمن بآيات الله تعالى الناطقة بالوعيد على أتمه، وليس للتأويل فيه مجال، والتأويل الذي ينبو عنه النظم الكريم مردود على صاحبه.

الرد على من يقول بخروج الكافرين من النار:

ويقرب من هذا الزعم الباطل ما يلهج بعضهم من خروج الكافرين من النار، وقد أشبع التقي السبكي وهو من أنصار الصوفية القول في هذه المسألة «الاعتبار ببقاء الجنة والنار» رد فيها على من قال بخروجهم منها أو بفنائها، وقرر أنها عقيدة كفرية لمصادمتها الآيات القرءانية، وخرقها الإجماع المنعقد على خلود الكفرة فيها، وعدد الآيات في الخلود لأهل الجنة وأهل النار فإذا هي اثنتان وثلاثون ءاية، ولعمر الحق إن واحدة منها كافية لحصول اليقين عند المؤمن.

الرابع: في الرد على من يقول بنجاة فرعون:

القول بنجاة فرعون المنسوب إلى الشيخ محيي الدين تعلقًا بقوله تعالى حكاية عنه حين عاين الهلاك وأدركه الغرق: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة يونس] قال القائلون: ولم يزد الله تعالى في ذلك المقام على أن عاتبه

وبكته بقوله: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة يونس]. الآيات قالوا ذلك غافلين عن قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة غافر] فإيمانه إيمان يأس غير مقبول.

ثم ماذا يصنعون بقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة هود]. أفيقدمهم إلى النار ويوردهم إياها ثم يعود أدراجه إلى الجنة، ما هذه المهزلة التي يتنزه عنها القرءان.

ولئن قالوا: إن رجوعه للنكاية بهم حيث لم ينجهم منها مع أنهم عبدوه قلنا لهم: إنهم إنما كفروا بسببه، فهو رأسهم في الكفر وكبيرهم في الضلال، فتقدم أمامهم إلى النار على أن الضمير في قوله: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة هود] يعود عليهم وعليه لئلا يلزم تفكيك النظم بتشتيت الضمائر، والقرءان الفصيح لا يقبل هذا الضعف في التركيب. وماذا يصنعون بقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة النازعات]: أليست الأولى هي الدنيا والآخرة هي يوم القيامة وما بعده.

على أن هناك ءايات أخرى قاطعة لشبهتهم، وليس بعدها مجال لقائل ولا اجتهاد لمجتهد، إذ الاجتهاد في موارد النصوص ممنوع، وليس لله مع أحد كلام فيما قضاه. قال الله تعالى في سورة القصص: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة القصص]. فإذا كان الله

تعالى نفى عنهم النصرة يوم القيامة، ولعنهم في الدنيا وفي الآخرة، وأخبر أنهم من المقبوحين فيها. إذا كان ذلك كذلك فهل بقي شك في كفر فرعون وجنوده، لا هم وحدهم فقط، لأن الضمائر في الآيات له ولجنوده.

إذًا فالقول بنجاة فرعون كفر صريح، وعن هذا أقسم الشيخ الشعراني في كتابه «اليواقيت والجواهر» بأن هذا القول مدسوس على الشيخ محيي الدين ومنحول له ولم يقل به، وهذه هي العقيدة الصحيحة المنجية عند الله تعالى. ورضي الله تعالى عن الشعراني الذي دفع عن القوم وبيَّن أن كثيرًا مما هو في كتبهم دسه الوضاعون فيها، وليس للقوم علم به، حتى إنه حكم بأن كل ما في الفتوحات والفصوص مما يخالف مذهب أهل السنة مدسوس على الشيخ.

ومثله ما هو منسوب إلى الجيلي من القول بتساوي المطيع والعاصي، وبانقلاب العذاب عذوبة، كل هذا كذبه الشعراني، ونقل عن الشيخ الأكبر القول الصريح بخلود الكفرة في العذاب أبدًا دون تخفيف كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة البقرة]. ويكفي الاعتماد على ما ذكره أيضًا من أن أحد العلماء اليمانيين أخبره أن النسخة الأصلية للفتوحات وهي في (قونية) خالية من كل هذه الكفريات، وهي التي بخط الشيخ محيي الدين، وغيرها من النسخ دخلها التحريف والتبديل.

في مصر الآن رجل من أجلاء أهل السنة يشايع الشعراني في قوله إن كل ما يخالف الشريعة مدسوس على القوم، ويكفيني الاعتماد على ما ذكره الشعراني فهو عالم بطريق القوم وخبير به، وتصوفه يتمشى مع العلم دون خروج عليه، لا أستطيع غير هذا من حيث إني ءامنت بالقرءان، ولا يسعني أن أسلم بما يضاده إذ هو جمع بين الضدين وهو مستحيل قطعًا، والله تعالى سائلي عن

عقيدتي، فبم أجيبه لو جمعت إلى الإيمان بكتابه التسليم بهذه الكفريات، ومن زعمهم مؤمنين فقد كفر، والفقهاء مقررون أن الشك في كفر الكافرين كفر.

على أن القوم قرروا بأن طريقهم محكم البناء على أسس الكتاب والسنة، وأن كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة، وها هو مولانا خالد قدس سره كان يوصي المريدين في مرض موته بالتزام عقيدة الأشعري إذ هي المعتمدة عند أهل السنة. إذًا فلم أتعد الحدود ولم أتجانف لإثم إذا أبطلت ما أبطل القوم أنفسهم. أما التسليم فيما يقولونه عن المقامات والأحوال والواردات، والأمور الغيبية والكشفية مما لا تعترضه الشريعة فأنا مؤمن به كل الإيمان، وحاشاهم أن يكذبوا في دعاويهم. أما تلك الطامات فهم بريئون منها، وإن وجدت في كتبهم فهي من غيرهم، على هذا ألقى الله تعالى.

الخامس: في الرد على من قال بوحدة الوجود.

وقد فسرها البعض عنهم: بأن هذا الكون بحيواناته وجماداته مجموعة إلٰهية، والله تعالى هو روح لها، وهذا كفر قطعًا إذ هو الحلول الذي يتبرأ منه المؤمنون ويقضون بأنه كفر. أما المنظومات والمنثورات التي رأيتها في الحلول فشيء كثير، على أن هنالك جملة منسوبة إلى صاحب كتاب «الإنسان الكامل» محصلُها: أن النصارى إنما كفروا لحصرهم الإشراق في المسيح وأمه عليهما السلام، فقد كفروا بهذا الحصر، وخرجوا عن زمرة الموحدين القائلين بالشيوع، وهذا القول مهما قلبت فيه وجوه التأويل فلا مخلص إلا بالحكم بأن هذه الجملة مدسوسة عليه أيضًا، ثم قال وهو في كثير من مواقفه في كتابه يتكلم بالحق المبين الذي لا شائبة فيه ولا غبار عليه، وإذا كان النصارى كفروا بدعواهم الحلول في اثنين أو ثلاثة، أفلا يكون القول بالحلول في الجميع كفرًا هذا يا

سيدي ما يحوك في نفسي حدثتكم به لئلا أخفي عليكم شيئًا من شأني. وإني والله لولا أمران بهما بقاء نسبتي إلى الطريق ولولاهما لم يعد لي فيه أدنى ارتباط إلا من حيث الذكر المأمور به في كتاب الله تعالى، لان هذه المكفرات لا يسكت عنها» انتهى كلام الشيخ محمد الحامد.

أقول: ومما أزيد عليه ما نقله الشعراني في «لطائف المنن والأخلاق»[1] في جملة من التحذيرات التي أوردها فقال: «ومن مطالعة قصيدة عبد الكريم الجيلي التي رويُّها العين المضمومة ومن جملتها:

قطعت الورى من نفس ذاتك قطعة

وما أنت مقطوع ولا أنت قاطع

فإنه لفظ لا يجوز إطلاقه على الله تعالى مطلقًا» اهـ.

قال العلامة المحدث الصوفي الشيخ عبد الله الهرري في كتابه «التحذير الشرعي الواجب»[2] ما نصه: «ومما يجب التحذير منه كتاب «الإنسان الكامل» المنسوب لعبد الكريم الجيلي، ومنظومة تسمى «العينية» تقع في ثمانمائة بيت فيها كلام صريح بالكفر كهذين البيتين:

وما الكونُ في التمثالِ إلا كثلجةٍ

وأنتَ لها الماءُ الذي فيه نَابِعُ

وما الكونُ في التحقيقِ غَيرًا لمائِهِ

وغَيرَانِ في حُكمِ دَعته الشرائعُ

(١) انظر الكتاب (ص/ ٣٩٥).

(٢) انظر الكتاب (ص/ ٢١).

ففي البيت الأول حلول أي أن الله بزعمه حالٌّ في العالم كحلول ماء الثلج في الثلج، وفي الثاني أن العالم والله شيء واحد أي ليس الله غَيرًا للعالم بل هو عين العالم فيما يزعم والعياذ بالله تعالى، وهاتان العقيدتان عقيدة الوحدة المطلقة وعقيدة الحلول أي حلول الله في الخلق أشد الكفر والعياذ بالله» اهـ.

كفرهم السفيه بعدم اكتراثهم بحقائق التنزيه

هناك أحاديث نبوية شريفة متشابهة يستشهدون بها من غير أن يعرفوا معناها وإلى أي شيء تؤدي مقاصدها بل يأخذون معناها على الظاهر تبعًا لأهوائهم الخبيثة وما يوافق طبع الحلول والاتحاد فمن هذه الأحاديث «خلق الله ءادم على صورته» وقد قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله[1]: «قوله: «صورته» الهاء وقعت كناية بين اسمين ظاهرين، فلم تصلح أن تصرف إلى الله عز وجل لقيام الدليل على أنه ليس بذي صورة سبحانه ليس كمثله شيء، فكان مرجعها إلى ءادم عليه السلام» انتهى، فالهاء ضمير يرجع إلى ءادم فالنبي ﷺ أراد أن يبين أن ءادم كان مخلوقًا على صورته التي كان عليها بعد الخروج من الجنة لم تشوه صورته، ولم تغير خلقته. وذهب بعض أهل النظر إلى أن الصور كلها لله تعالى على معنى الملك والفعل، ثم ورد التخصيص في بعضها بالإضافة تشريفًا وتكرمًا كما يقال ناقة الله وبيت الله ومسجد الله، وعبر بعضهم بأنه سبحانه ابتدأ صورة ءادم لا على مثال سبق، ثم اخترع من بعده على مثاله، فخص بالإضافة والله أعلم. فكلمة بيت الله ليس معناها أن الله يحل فيه تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، إنما إضافة تشريف وتكريم.

وقد علق الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله على أحاديث الصورة في تحقيقه لكتاب الأسماء والصفات للبيهقي رحمه الله فيقول[2]: «وبالنظر إلى ذكر الصورة في كثير من طرق هذا الحديث قالت السالمية «إن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة في صورة

(١) الأسماء والصفات (٢/١٦).

(٢) الأسماء والصفات (ص/٢٩٤) بتعليق الكوثري.

ءادمي محمدي، وإنه عز وجل يتجلى لسائر الخلق يوم القيامة من الإنس والجن والملائكة والحيوان أجمع لكل واحد في معناه» وفي كتاب الله تكذيبهم وهو قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] كما ذكره الشيخ عبد القادر الجيلي في غنيته، وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الجواربي يقولون إن لله صورة وأعضاء كما في تلبيس ابن الجوزي، تعالى الله عما يصفون، بل قوم من المشبهة يجيزون رؤيته في الدنيا، ولا ينكرون أن يكون بعض من يلقاهم في السكك ويجيزون مصافحته وملامسته كما في مقالات البلخي، ومنهم أخذت غلاة المتصوفة القائلون بالتجلي في الصور» اهـ.

ومن الأناشيد التي يجب الاحتراز عن قولها التي تفهم معنى التجلي في الصور منها هذه الأنشودة التي أولها:

أنــــت نــــســـــخـــــة الألــــوان

فـــيـــك صـــورة الـــرحـــمـــٰـــن

وهي مشهورة جدًّا فوجب ترك قراءتها في المجالس لأن فيها إثبات الصورة لله فالخير في تركها كما جاء عن الإمام مالك أنه كان يتجنب رواية بعض المرويات التي توهم التشبيه ولنذكر هنا قول سيدنا رسول الله ﷺ: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»** رواه البخاري ومسلم، ويقول أيضًا: **«وإن الرجل ليتكلم بالكلمة في سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم القيامة»** رواه مسلم.

وهناك حديث نبوي شريف كذلك يغالطون في تفسيره يأخذون معناه على الظاهر لأجل أغراضهم الخبيثة وما يوافق زندقتهم الحلولية، ولهذا الحديث معنى يليق بجلال الله تعالى سبحانه جل

شأنه، وتنزيهه عن النقص وصفات المخلوقين، وهذا الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل قال: من عادى لي وليًا فقد بارزني بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، وما يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني عبدي أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه**»، رواه البخاري في الصحيح. وقد فسَّر هذا الحديث الشريف الشيخ أبو عثمان الحيري رحمه الله أنه سئل عن معنى هذ الخبر فقال[1]: «معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع، وبصره في النظر، ويده في اللمس، ورجله في المشي»، وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله[2]: «قوله: «وكنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها» وهذه أمثال ضربها والمعنى والله أعلم توفيقه في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء وتيسير المحبة له فيها فيحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من إصغاء إلى اللهو بسمعه، ونظر إلى ما نهى عنه من اللهو ببصره، وبطش إلى ما لا يحل له بيده، وسعي في الباطل برجله، وقد يكون معناه سرعة إجابة الدعاء والإنجاح، وذلك أن مساعي الإنسان إنما تكون بهذه الجوارح الأربع» اهـ.

فالله سبحانه وتعالى يكرم عبده الصالح بأن يحفظ جوارحه من إتيان المعاصي الموبقة، ويكرمه بالكرامات الجليلة في هذه الجوارح لشدة طاعة هذا العبد وشغفه بحب مولاه فيعطيه سبحانه

---

(١) الأسماء والصفات (٢/ ٢٥٢).

(٢) الأسماء والصفات (٢/ ٢٥٢).

قوة في البصر فيرى الشيء البعيد وكأنه أمامه، وقوة في السمع يسمع بها الكلام البعيد وكأنه قربه، وقوة في المشي فيطوي الله له الأرض فيقطع المسافات الطويلة بدقائق وبمهلة بسيطة جدًّا، وقوة في اليد خارقة للعادة. ولذا عندما كان سيدنا عمر رضي الله عنه على المنبر يخطب في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكان جيش المسلمين في نهاوند في بلاد فارس وقد أحاط به الكفار بالمكيدة والحيلة للانقضاض عليه فكشف الله لعمر حالة المسلمين فرءاهم كأنهم أمامه فهذا يطابق قول «كنت بصره الذي يبصر به» فقال سيدنا عمر يا سارية الجبل الجبل فسمع قائد جيش المسلمين سيدنا سارية بن زُنَيم صوت عمر فانتبه لمكيدة الكفار فانحاز نحو الجبل وكتب الله النصر للمؤمنين وهزم الكفار بفضل الله تعالى، فإسماع الله تعالى صوت سيدنا عمر لسارية وجيش المسلمين موافق لقوله: «كنت سمعه الذي يسمع به».

ومن هذا القبيل ما حصل معي عندما كنت في زيارة أحد العارفين أن شخصًا ناقشني في قضية دعاء نصف شعبان الذي أوله يا ذا المن ولا يمن عليه إلى ءاخره فقلت إنه حديث موضوع لا أصل له لما فيه من قول اللهم إن كنت كتبتني شقيًّا أو محرومًا فامح اللهم شقاوتي وحرماني واجعلني في ديوان السعداء لأنه يوهم الناس أن مشيئة الله تتغير وهي لا تتغير لأنها أزلية أبدية فمن شاء الله له في الأزل أن يكون من أهل السعادة كان من أهلها فلا يتبدل شقيًّا وكذلك العكس أي من شاء الله في الأزل أن يكون شقيًّا فلا يتبدل سعيدًا. قال ابن رسلان في منظومته الشهيرة:

إن الشَّقِيَّ لشَقِيٌّ الأزَلِ
وعكسُهُ السَّعيدُ لم يُبَدَّلِ

ولذا يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه في هذا الشأن:

مـــا شـــئـــتَ كـــانَ وإن لـــم أشـــأ
وما شـئـتُ إن لـم تَـشَـأ لـم يـكـن

خلقتَ العباد على ما علمتَ
ففي العلم يجري الفتى والمسن

علـى ذا مـنـنـتَ وهـذا خـذلـتَ
وهـذا أعـنـتَ وذا لـم تـعـن

فـمـنـهـم شـقـي ومـنـهـم سـعـيـد
ومـنـهـم قـبـيـح ومـنـهـم حـسـن

وفيه مخالفة لما جاء في كتاب الله من قول الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [سورة الدخان]. يعني ليلة القدر.

وقد قال الله ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾ [سورة ق]. ولا ينافي ذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣٩﴾ [سورة الرعد]. إذ ينسخ الله الآيات فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣٩﴾ يبدل الله ما يشاء من القرءان فينسخه ويثبت ما يشاء ولا يبدله ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣٩﴾ يقول جملة ذلك عنده في أم الكتاب الناسخ والمنسوخ وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب»[1] اهـ.

فهذه الآية لا تعني أن الذي كتب له أن يكون من أهل الشقاوة الأبدية يرجع ويدخله الجنة، حاشا لرب العالمين أن تتغير مشيئته ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣﴾ [سورة السجدة].

---

(١) الأسماء والصفات (٢/٢٤٨ ـ ٢٤٩).

وظلت المناقشة بيني وبين هذا الشخص ولم يقتنع مني، فتركته وذهبت متأثرًا من عنده وتوجهت إلى الرجل الصالح وكان جالسًا لقضاء حاجات المريدين والزوار، فاقتربت منه وسلمت عليه فأمرني بالجلوس في مواجهته وكان يتكلم في علم التوحيد لتعليم المريدين العقيدة فسمعت منه قوله بالفارسي «خودا مؤثر» يعني الله هو المؤثر على الحقيقة إلى أن وصل بكلامه إلى ما دار بيني وبين ذلك الشخص من المناقشة ولم أخبره بذلك فقال: السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه فهذا يطابق «كنت سمعه الذي يسمع»، وقصة وزير سيدنا سليمان عليه السلام عندما جاء بعرش بلقيس في لمحة البصر فهذا يطابق قول «ورجله التي يمشي بها» أي انطواء الأرض له، وكقصة خالد بن الوليد عندما قطع المسافة بين المدينة المنورة إلى دمشق في يومين ونصف مع جيشه.

وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في رده على أهل الحلول والاتحاد: «ومن أوقح التخريف سعي بعض غلاة الاتحادية ممن شذ عن الجماعة أصلًا وفرعًا في القرن المنصرم في ترويج ثبوت القعود والحركة والمصافحة والمعانقة والتردد وغيرها له عز وجل بطريق التجلي في المظاهر والصور المصطلح عليه عند غلاة الاتحادية، وكذلك استساغته حلول الحوادث بذاته سبحانه متظاهرًا بأن ذلك مقتضى ظاهر كتاب الله وسنة رسوله وحقائق النصوص. وأين التجليات التي اصطلح عليها فيما بعد التنزيل بدهور استعمالا لها في حقائقها؟ ومن زعم ذلك فقد زاغ عن منهج الكتاب والسنة وتنكب سبيل السلف الصالح ومسلك أئمة أصول الدين، ونابذ لغة التخاطب، وهجر طريقة أهل النقد في الجرح والتعديل، والتقويم والتعليل، وجانب أصفياء الصوفية القائلين بالتوحيد الشهودي بل حاد عن فرق هذه الأمة جمعاء، غير الحلولية من طوائف المشبهة،

فعقبات هذا الحائد عقبات دون الوصول إلى الحقائق وهكذا تكون ويلات الشذوذ عن الجماعة»[1] اهـ.

فائدة مهمة:

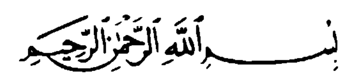
من يقول: الله روح الأرواح يكفر لأن الروح من الأسماء الجامدة ليست من الأوصاف، ولا يجوز تسمية الله بالروح وهذا خلاف قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف]، وأهل السنة أجمعوا على أنه لا يجوز تسمية الله إلا بما ورد في القرءان أو في حديث رسول الله ﷺ، فإذا كان الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه منع من تسمية الله مستطيعًا وفقيهًا فكيف بمن يسميه روحًا، وقد كفّر ركن الإسلام علي السُغدي يكفر من سمى الله تعالى سببًا أو علة «كمن يقول الله هو السبب الأكبر».

وبعضهم يقول الروح ليست مخلوقة وهذا كفر لأن فيه تكذيبًا لقول الله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الرعد] وبعضهم يفسر اسم الله القيوم بأنه قائم في الأجساد وهذا من أكبر الكفر.

(١) الأسماء والصفات (ص/٤٥٥) طبعة الكوثري.

تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد

يقول الحافظ السيوطي رحمه الله في بيان تكفير أهل الحلول والوحدة المطلقة في كتابه «الحاوي للفتاوى»[1]:



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. القول بالحلول والاتحاد الذي هو أخو الحلول أول من قال به النصارى إلا أنهم خصوه بعيسى عليه السلام أو به وبمريم أمه ولم يعدوه إلى أحد وخصوه باتحاد الكلمة دون الذات بحيث ان علماء المسلمين سلكوا في الرد عليهم طريق إلزامهم بأن يقولوا بمثل ذلك في موسى عليه السلام وفي الذات أيضًا وهم لا يقولون بالأمرين، وإذا سلموا بطلان ذلك لزم إبطال ما قالوه، وأما المتوسمون بسمة الإسلام فلم يبتدع أحد منهم هذه البدعة وحاشاهم من ذلك لأنهم أذكى فطرة وأصح لبًا من أن يمشي عليهم هذا المحال غير أن طائفة من غلاة المتصوفة نقل عنهم أنهم قالوا بمثل هذه المقالة وزادوا على النصارى في تعدية ذلك والنصارى اقتصروه على واحد فإن صح ذلك عنهم فقد زادوا الكفر على النصارى، وأحسن ما اعتذر عمن صدرت منه هذه الكلمة الدالة على ذلك وهي قوله أنا الحق بأنه قال ذلك في حال سكر واستغراق غيبوبة عقل وقد رفع الله التكليف عمن غاب عقله وألغى أقواله فلا تعد مقالته هذه شيئًا ولا يلتفت إليها فضلًا عن أن تعد مذهبًا ينقل. وما زالت العلماء

---

(١) انظر الكتاب (٢/ ٢٩٦).

ومحققو الصوفية يبينون بطلان القول بالحلول والاتحاد وينبهون على فساده ويحذرون من ضلاله.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في كتاب المحصل في أصول الدين: مسألة: البارئ تعالى لا يتَّحد بغيره لأنه حال الاتحاد إن بقيا موجودين فهما اثنان لا واحد، وإن صارا معدومين فلم يتحدا حدث ثالث، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر فلم يتحدا لأن المعدوم لا يتحد بالموجود.

وقال القاضي عياض في الشفا ما معناه: أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول ومن ادعى حلول البارئ سبحانه في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في قواعده الكبرى: ومن زعم أن الإلٰه يحل في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر.

وقال صاحب كتاب «نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد»: حدثني الشيخ كمال الدين المراغي عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أنه قال له مرة: الكفار إنما انتشروا في بلادكم لانتشار الفلسفة هناك وقلة اعتنائهم بالشريعة والكتاب والسنة قال: فقلت له: في بلادكم ما هو شر من هذا وهو قول الاتحادية، فقال: هذا لا يقوله عاقل فإن قول هؤلاء كل أحد يعرف فساده، قال وحدثني الشيخ كمال الدين المذكور قال: اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسي تلميذ الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي وفاوضته في هؤلاء الاتحادية فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم وقال: أتكون الصنعة هي الصانع؟

الاستقامة عين الكرامة

وزِنْ بحكم الشرع كل خاطر

فإن يكن مأموره فبادر

يقول الإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية: «ربما عرضت لي نكتة من نكت القوم «من المكاشفات والمواجيد الذوقية» فلا أقبل بها إلا بشاهدي عدل الكتاب والسنة».

ويقول رضي الله عنه: «طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة»، ولذلك قال أحد العارفين: الصوفي من صفا قلبه من الكدر وامتلأ من العبر واستوى عنده الذهب والمدر. فالأعمال والحركات والسكنات والخطرات كلها يعرضونها على الشرع الشريف فإن وافقت مضمون ما يأمر به نهضوا بعزم وهمة للعمل وإلا تباعدوا وجانبوه لأنهم ألزموا قلوبهم شديد المراقبة ودقيق المحاسبة.

ومن غرائب المكاشفات وعجائب الوجدانيات الذوقية التي تبين مدى تمسك الصوفية بالعقيدة والعلم الشريف ما حصل للقطب الرباني الإمام الصوفي الجليل الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أنه كان في الخلوة فإذا بنور منبث في الهواء فتتدلى منه صورة نورانية تقول يا عبدي يا عبد القادر أحللت لك المحرمات ورفعت عنك الفرائض، ولكن الشيخ قدس الله روحه صاحب القلب المنير ولنفاذ نور بصيرته وعلو مقامه الشريف وعظيم شأنه في علم التوحيد ولمعرفته بأن الله «ليس كمثله شيء» ولا يحل في شيء ولا ينحل منه شيء وأن هذا الضوء النوراني جسم له شكل وحيز ومساحة ولا يكون ذلك إلا للمخلوق عندئذ عرف الشيخ عبد القادر أن هذا النور هو الشيطان فرشقه بسهام علم التوحيد فتبدد هذا النور وصار ظلامًا دامسًا داكنًا

فخاطبه الشيطان قائلًا: يا عبد القادر لقد غلبتني بعلمك ومعرفتك في طريق القوم فلقد أغويت سبعين رجلًا من أهل الطريق.

ومما ينسب زورًا وبهتانًا هذا القول من قصيدة كلها مفتراة عليه:

ولو أنني ألقيت سري على لظى
لأطفئت النيران من عظم سلطاني

فحاشا سيدنا عبد القادر أن يتفوه بمثل هذا الكلام الذي ينبو عن النظم الصحيح ويخالف الشريعة الغراء.

وكذلك دسوا عليه بأنه مرة كان في الحضرة فصار يقول أثناء الذكر «أنا الله» فاعترض عليه أحد المريدين فقال إن سمعتني مرة أخرى فاضربني بهذا السيف فلما ءان وقت الذكر صار الشيخ يقول «أنا الله» فأهوى إليه هذا المريد بالسيف عليه فلم يؤثر فيه، فهذه قصة موضوعة ومفتراة عليه وفيها حط من مقام هذا القطب الجليل الذي هو من أساطين أهل التمكين الذين قهروا أحوالهم فاستووا على عرش الإرشاد المحمدي، يدلون الخلق على الله بالإخلاص لوجه الله، ابتغاء مرضاة الله وقد أسلم على يدي الشيخ الكثير من المشركين، وأتباعه المخلصون لهم فضل عظيم في نشر دعوة الإسلام في إفريقيا وفي عدة بلاد ءاسيوية كانوا سببًا لدخول الآلاف إلى دين الله فجزاه الله خيرًا عن هذه الأمة.

قال العلامة الهرري[1]: «ومما يجب التحذير منه كتاب «الفيوضات الربانية في مآثر الطريقة القادرية» فإن فيه كلامًا مفترى على الشيخ عبد القادر الجيلاني، ويوجد فيه من الكلمات الشاذة التي لا تليق بالشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ما لا يوجد في كتب الشيخ عبد القادر، فإن للشيخ عبد القادر كتابًا مشهورًا

---

(١) التحذير الشرعي الواجب (ص/ ٢٢).

اسمه «الغنية» في الفقه الحنبلي لأنه حنبلي المذهب، وهذا الكتاب ثابت أنه من تأليفه لكن مجسمة الحنابلة الذين يعتقدون أن الله جسم ساكن جهة فوق أدخلوا عليه مسئلتين افتروا عليه أنه يقول: إن الله ساكن في جهة فوق[1]، وافتروا عليه بأنه يقول[2]: بأن حروف المعجم قديمة أي ليس لوجودها ابتداء، وهذا خلاف عقيدة أهل السنة، فإن عقيدة أهل السنة أنه لا موجود أزلي قديم ليس لوجوده ابتداء إلا الله، والحروف مخلوقة حادثة، وهو رضي الله عنه لا يخالف في العقيدة شيئًا مما عليه أهل السنة السلف والخلف من أن الله تعالى متكلم بكلام لا يُشبه كلام الخلق، ومعلوم أن كلام الخلق حرف وصوت حادثان يوجدان شيئًا بعد شيء وهذه صفة البشر، والله تعالى متعال منزه عن كل ما هو من صفات البشر إنما هو متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا.

وليس القرءان شيئًا قرأه الله بحرف وصوت على جبريل إنما القرءان كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ فأمر جبريل بأن يأخذه ويقرأه على سيدنا محمد ﷺ بالحرف والصوت بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ [سورة الحاقة]، والضمير في ﴿إِنَّهُۥ ۝٤٠﴾ يعود إلى القرءان باتفاق المفسرين، ومعنى الآية أن القرءان شيء قرأه جبريل.

وما نُسب للشيخ لا يقول به أقل المسلمين في الدين فكيف الشيخ عبد القادر الذي هو من أكبر الأقطاب؟! كيف يقول بأن الله ساكن السماء والله تعالى يقول ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۝٣١﴾ [سورة النجم] أي كل متحيز في السمٰوات والأرض فهو ملك لله مخلوق لله حادث وُجِدَ بعد أن لم يكن موجودًا، فكيف يخفى

(١) انظر كتاب الغنية (١/ ٩٤، ٩٧).
(٢) انظر كتاب الغنية (١/١٠٣).

هذا الحق على القطب الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، إنما مشبهة الحنابلة دسوا عليه في كتابه هاتين المقالتين ليوهموا الناس أن الشيخ عبد القادر على عقيدتهم عقيدة التشبيه.

ومن المعلوم أن الصوفية المحققين هم أكثر الناس تأدبًا مع الله تعالى لا يُطلقون على الله عبارة شنيعة.

ومما في هذا الكتاب أيضًا إيهام أن الله تعالى أوحى إلى الشيخ عبد القادر وخاطبه بكلمات عديدة يسمونها الغوثية بهذه الصيغة: «يا غوثُ الأعظم الأمر كذا وكذا»، ومما فيه: «يا غوثُ الأعظم أكل الفقراء أكلي وشربهم شربي»، وهذا اللفظ فيه متكرر يعني «يا غوثُ الأعظم».

وفي هذا الكتاب أيضًا كذب ءاخر في القصيدة النونية وهو قوله «ونادَمَني ربي حقيقيًّا وناداني» فهذا كذب ظاهر على الشيخ عبد القادر فإن الشيخ لا يقول إنه نادم الله ولا يقول إن الله كَلَّمَهُ، فهذا الكتاب يجب إتلافه.

ومما في كتاب الغنية نسبة الصوت إلى الله عز وجل وتشبيهه بصوت الرعد،[1] والذي نعتقده أن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه بريء من مثل هذه الأقوال.

قال الشيخ أبو الهدى الصيادي ما نصه[2]: «فقد عزوا للقطب الجليل الفرد الأصيل خزانة الكمالات والمعاني أبي صالح محي الدين السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه الكثير من الكلمات التي لم تصدر منه ولم تنقل بسند صحيح عنه مثل الكلمات المكذوبة التي سموها «الغوثية» فهو عطر الله مرقده بعيد عنها وبريء منها» اهـ.

(١) انظر كتاب الغنية (١/ ١٠٢).

(٢) الطريقة الرفاعية (ص/٥٨ ـ ٥٩).

وهذا الكتاب المسمى «الفيوضات الربانية» ألفه إسماعيل القادري الكيلاني من أهل القرن الثالث عشر، ومؤلفه ليس من العلماء فقد نسب إلى الشيخ عبد القادر قصيدتين إحداهما ميمية والأخرى نونية.

ففي القصيدة الميمية يوجد هذا البيت:

كل قُطبٍ يطوفُ بالبيت سبعا

وأنا البيتُ طائف بخيامي

فهذا الكلام أي أن الكعبة تترك مكة وتذهب إلى العراق لتطوف بخيام الشيخ عبد القادر لا يقول هذا إلا كذاب وقح لأن الكعبة الله وضعها في مكة ليطوف بها المؤمنون بالليل والنهار في مكانها.

ومثل هذا الكلام مذكور في كتاب «روض الرياحين» ونص عبارته[1]: «وقد سمعنا سماعًا محققًا أن جماعة شوهدت الكعبة تطوف بهم طوافًا محققًا» اهـ.

وأما النونية ففيها هذا البيت:

ولو أنني ألقيتُ سري على لظى

لأُطفئت النيرانُ من عُظم برهاني

وهذا رد للنصوص لا يقوله مؤمن عرف أن الله خلق الجنة والنار للبقاء فلا تفنيان أبد الآباد، وأن نار جهنم لا يلحقها انطفاء أبدًا، هذه عقيدة كل مسلم، فكيف تجرأ هذا المفتري على نسبة هذا الكلام إلى الشيخ عبد القادر رضي الله عنه.

وهذا الكتاب مستعمل كثيرًا ببلاد الحبشة والصومال وفي بعض غيرها، وأكثر أهل تلك النواحي لا يعرفون معاني تلك الكلمات إنما مرادهم النَّغَم.

---

(١) نقله المناوي في الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (١/١٨).

ومن الكتب التي يجب التحذير منها وفيها دس كثير على الشيخ عبد القادر «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار» لعلي الشَّطْنُوفي المصري، وهذا المؤلف يركب أسانيد باطلة ليروج ما ينسبه إلى الشيخ عبد القادر وليوهم الناس أن هذا الكلام الذي ينسبه إليه صحيح مُسنَدٌ، وقد نص الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره[1] أن الشطنوفي مؤلف «بهجة الأسرار» ذكر في كتابه هذا ما لا يصح إسناده للشيخ الجيلاني رضي الله عنه.

ومن جملة ما فيه من الكذب عليه قوله: إن الشيخ عبد القادر قال: «قدمي هذه على رقبة كل ولي»، وقد بين أن هذه الكلمة مدسوسة على الشيخ عبد القادر الإمام الجليل سراج الدين المخزومي في كتابه «صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار»[2] وذكر فيه من كَذَّبَ هذا الرجل في نسبة هذا الكلام إلى الشيخ عبد القادر.

ومن المعلوم أن الصوفية الكاملين هم أشد الناس تواضعًا وهذا القول بعيد من التواضع، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن التواضع أفضل العبادة**»، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الأمالي المصرية[3].

قال الشيخ أبو الهدى الصيادي ما نصه[4]: «وأما ما جاء في الكتاب المسمى «بهجة الاسرار» مؤلف الشطنوفي في مناقب الشيخ عبد القادر قدس سره الطاهر من الحكايات والكلمات والروايات الموضوعة ففيها للأكابر كلام منهم من اتهم الشطنوفي في ذاته

---

(١) الدرر الكامنة (٤/٢١٦)، طبقات القراء (١/ ٥٨٥)، الطريقة الرفاعية (ص/١٦).
(٢) صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار (ص/١٢٨).
(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٤٠).
(٤) الطريقة الرفاعية (ص/٥٩).

بالكذب والغرض، ومن القائلين بذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي طاب ثراه وقد ذكر ذلك في طبقات الحنابلة في ترجمة القطب الجيلي نفعنا الله بمدده وعلومه، ومنهم من قال: إنه راج على الشطنوفي حكايات كثيرة مكذوبة وكأنهم نسبوه إلى البَله وقبول ما يصح وما لا يصح» اهـ، وذكر منهم الحافظ الذهبي والبدر العيني وابن كثير وغيرهم.

ثم قال الصيادي بعد ذلك ما نصه: «وأما الكلمة التي بنى عليها كتابه البهجة وهي إسناد قول: قدمي هذه على رقبة كل ولي للشيخ عبد القادر عطر الله ضريحه فقد اختلفت في هذه الكلمة الأقوال فالحافظ ابن رجب الحنبلي والإمام العز الفاروثي الشافعي والذهبي والتقي الواسطي وابن كثير والكثير من الأكابر أنكروها وبَرَّءوا الشيخ قدس الله روحه ونفعنا به وقالوا إنها من موضوعات الشطنوفي وإنها لم تنقل بسند صحيح يعتمد عليه» اهـ.

ومما يُشبه هذا مما يجب التحذير منه ما اشتهر عن جماعة الشيخ عبد الله قطب الصومالي المشهور من كلمات يرددونها في مجالسهم وعندما يخرجون إلى مكان وهي:

إنَّ لشيخي تسعةً وتسعين اسما

كَسُمَى ذي الجلال في استجاب الدعاء

يعني قائل هذه الكلمة الشيخ عبد القادر فيصفه بأن له تسعة وتسعين اسمًا كأسماء الله تعالى تسعة وتسعين في استجابة الدعاء، وهذا الكلام فيه تشبيه للشيخ بالله تعالى، وهذه فرية جديدة ومقام الشيخ عبد القادر بعيد من هذا كل البُعد، لم يَدَّع هو هذا ولا أحد من أتباعه الصادقين، وهذا من باب تشبيه العبد بالخالق، وتشبيه العبد بالخالق كفر.

ومن الغلو القبيح ظن بعض جهلة المتصوفة أن الشيخ من

المشايخ يَجِلُّ عن الخطإ وهذا مخالف للحديث ولكلام الصوفية الصادقين، أما الحديث فقوله ﷺ: **«ما من أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك غير رسول الله»** رواه الحافظ الطبراني بإسناد حسن[1]، وأما كلام الصوفية فقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: «إذا علم المريد من الشيخ خطأً فلينبهه، فإن رجع فذاك الأمر وإلا فليترك خطأه وليتبع الشرع» قال ذلك في كتاب أدب المريد، وقال الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «سَلِّم للقوم أحوالهم ما لم يخالفوا الشرع فإذا خالفوا فكن مع الشرع»، وكتب الصوفية طافحة بمثل هذا» انتهى.

قال الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه في كتابه «الفتح الرباني»[2] في التحذير من الركون إلى الرسوم والمظاهر الفارغة ممن يدعون التصوف: لا تقنع من أحوالهم بالاسم والتزيي بزيهم والتشدق بكلامهم لا ينفعك ذلك مع مخالفتك لأفعالهم».

ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى ما قاله الإمام السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه في كتابه «البرهان المؤيد»[3]: «أي أخي» أخاف عليك من الفرح بالكرامة وإظهارها. الأولياء يستترون من الكرامة كاستتار المرأة من دم الحيض. «أي أخي» الكرامة عزيزة بالنسبة إلى المكرم. ليست بشيء بالنسبة لنا لأن هذا الإكرام لما ورد من باب الكريم عظم وتلقته القلوب بالإجلال. ولما تحول لفظ النسبة إلى العبد هان الأمر... كلنا عار إلا من كساه الله وكلنا جائع إلا من أطعمه الله كلنا ضال إلا من هداه. ليس للعاقل إلا قرع باب الكريم في الشدة والرخاء المخلوق. ضعف. عجز.

---

(١) إتحاف السادة المتقين (١/ ٤٣٢)، المعجم الكبير (١١/ ٢٦٩) عن ابن عباس رفعه.

(٢) انظر الكتاب (ص/ ١٥٨).

(٣) انظر الكتاب (ص/ ٣٣).

فقر، وحاجة، أكرم الله أحبابه المتقين، وأظهر على أيديهم الخوارق وأيدهم بروح من عنده، ورفع مناره فاشتغلوا به تعالى عن كل ذلك. خافوا الله فأسكنهم جنة قربه. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [سورة النازعات] شر الهوى رؤية الأغيار، والاشتغال عن الخالق بالمخلوق ما الذي يراه العاقل من الاشتغال بغيره؟ قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما «**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظْك احفظِ الله تجده تُجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**».

وقال أيضًا[1]: «أي سادة» إن نهاية طريق الصوفية نهاية طريق الفقهاء. ونهاية طريق الفقهاء نهاية طريق الصوفية، وعقبات القطع التي ابتلي بها الفقهاء في الطلب هي العقبات التي ابتلي بها الصوفية في السلوك. والطريقة هي الشريعة، والشريعة هي الطريقة والفرق بينهما لفظي. والمادة والمعنى والنتيجة واحدة» اهـ.

وقال إمام القوم الجنيد البغدادي رضي الله عنه: «علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام واتبع سنته والتزم طريقته» اهـ.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي الكبير رضي الله عنه: «إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة، فتمسك بالكتاب والسنة ودع

---

(١) انظر الكتاب (ص/١٠٥).

الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة، إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة. . . اهـ» من حاشية التعرف بالرسالة القشيرية.

مسك الختام
في عقيدة الشيخ الأكبر
محيي الدين بن عربي شيخ الإسلام

«بيان عقيدة الشيخ المختصرة المبرئة له من سوء الاعتقاد» قال: فيا إخواني ويا أحبابي رضي الله عنا وعنكم أشهدكم أني أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبياءه ومن حضر من الروحانيين أو سمع أني أقول قولا جازمًا بقلبي إن الله تعالى إلٰه واحد لا ثاني له منزه عن الصاحبة والولد مالك لا شريك له ملك لا وزير له صانع لا مدبر معه موجود بذاته من غير افتقار إلى موجود يوجده بل كل موجود مفتقر إليه في وجوده فالعالم كله موجود به[1].

وهو تعالى موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجوده مطلق قائم بنفسه ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء مقدس عن الجهات والأقطار استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذي أراده، كما أن العرش وما حواه به استوى[2] وله الآخرة والأولى لا يحده زمان ولا يحويه مكان بل كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان لأنه خلق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان تعالى الله أن تحله الحوادث أو يحلها أو تكون قبله أو يكون بعدها بل يقال كان ولا شيء معه، إذ القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه فهو القيوم الذي لا ينام والقهار الذي لا يرام ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

---

(١) أي الله أوجده أبرزه من العدم إلى الوجود.

(٢) أي الله خلقه فالعرش من جملة مخلوقات الله، الله خلقه بعد أن خلق الماء.

وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسماء اخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كما يشاء بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء أبدع العالم كله على غير مثال سبق» إلى أن قال: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئًا لم يرده الله تعالى لهم أن يريدوه ما أرادوه أو أن يفعلوا شيئًا لم يرد الله إيجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوا ذلك ولا أقدرهم عليه، فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان من مشيئته» إلى أن قال: «وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بتوحيده فكذلك أشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه الله واختاره واجتباه من خلقه وهو سيدنا ومولانا محمد ﷺ الذي أرسله إلى جميع الناس كافة وبشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلغ ﷺ ما أنزل من ربه إليه وأدى أمانته ونصح أمته ووقف في حجة الوداع على من حضره من الأتباع فخطب وذكر وخوف وحذر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد وما خص بذلك التذكير أحدًا دون أحد، ثم قال **«ألا هل بلغت»** قالوا: بلغت يا رسول الله فقال: ﷺ **«اللهم اشهد»**.

وأني مؤمن بما جاء به ﷺ مما علمت به ومما لم أعلم، فمما جاء به وقرر الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر فأنا مؤمن بهذا إيمانًا لا ريب فيه ولا شك، كما ءامنت وأقررت أن سؤال فاتني القبر حق والعرض على الله حق والحوض حق وعذاب القبر حق ونصب الميزان حق وتطاير الصحف حق والصراط والجنة حق والنار حق وفريقًا في الجنة وفريقًا في السعير وكرب ذلك اليوم على طائفة حق وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر حق وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين حق وجماعة من أهل الكبائر من المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة حق التأبيد

للمؤمنين في النعيم المقيم والتأبيد للكافرين والمنافقين في العذاب الأليم حق وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله عُلِمَ أو جُهِلَ حق فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت إليه يؤديها إذا سئلها حيثما كان نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان وثبتنا عليه عند الانتقال إلى الدار الحيوان وأحلنا دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار سرابيل أهلها قطران وجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالأيمان وممن انقلب من الحوض وهو ريان وثقل له الميزان وثبت منه على الصراط القدمان إنه المنعم ءامين ءامين» انتهت العقيدة.

الفيصل الأظهر
في تبرئة الشيخ محيي الدين بن عربي

يقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في كتابه «اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر»[1] عن الشيخ محيي الدين رضي الله عنه: «كان رضي الله عنه أولا من الموقعين عند بعض ملوك المغرب ثم إنه طرقه طارق من الله عز وجل فخرج في البراري على وجهه إلى أن نزل في قبر فمكث فيه مدة ثم خرج من القبر يتكلم بهذه العلوم التي نقلت عنه، ولم يزل سائحًا في الأرض يقيم في كل بلد بحسب الإذن ثم يرحل منها ويخلف ما ألفه من الكتب فيها وكان ءاخر إقامته بالشام وبها مات سنة ثمان وثلاثين وستمائة رضي الله عنه.

وكان رضي الله عنه متقيدًا بالكتاب والسنة ويقول: كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك وسيأتي قوله: وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وهذا اعتقاد الجماعة إلى قيام الساعة.

وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه إنما هو لعلو مراقيه، وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه كما أخبرني بذلك سيدي الشيخ أبو الطاهر المغربي نزيل مكة المشرفة، ثم أخرج لي نسخة الفتوحات التي قابلها على نسخة الشيخ التي بخطه في مدينة قونية فلم أر فيها شيئًا مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات. وقد دس الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائغة

---

(١) انظر الكتاب (ص/٩).

ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته. وكذلك دسوا على شيخ الإسلام مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس كتابًا في الرد على أبي حنيفة وتكفيره ودفعوه إلى أبي بكر الخياط اليمني فأرسل يلوم الشيخ مجد الدين على ذلك فكتب إليه الشيخ مجد الدين إن كان بكفّك هذا الكتاب فأحرقه فإنه افتراء من الأعداء وأنا من أعظم المعتقدين في الإمام أبي حنيفة وذكرت مناقبه في مجلد. وكذلك دسوا على الإمام الغزالي عدة مسائل في كتاب الإحياء وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر بإحراقها. وكذلك دسوا علي أنا في كتابي المسمى بالبحر المورود جملة من العقائد الزائغة فأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين وأنا بريء منها كما بينت ذلك في خطبة الكتاب لما غيرتها، وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه فما سكنت الفتنة حتى أرسلت إليهم النسخة التي عليها خطوطهم.

وكان ممن انتدب لنصرتي الشيخ الإمام ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله تعالى عنه، ثم إن بعض الحسدة أشاع في مصر ومكة أن علماء مصر رجعوا عن كتابتهم على مؤلفات فلان كلها فشك بعض الناس في ذلك فأرسلت النسخة للعلماء ثالث مرة فكتبوا تحت خطوطهم كذب والله من ينسب إلينا أننا رجعنا عن كتابتنا على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان. وعبارة سيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين المالكي فسح الله تعالى في أجله بعد الحمد لله وبعد فما نسب إلى العبد من الرجوع عما كتبته بخطي على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان باطل باطل باطل والله ما رجعت عن ذلك ولا عزمت عليه ولا اعتقدت في مؤلفاته شيئًا من الباطل وأنا معتقد صحة مقالته باق على ذلك، وأدين الله تعالى بالاعتقاد في صحة كلامه وولايته فلا ينبغي أن يصدق في شيء مما

ينسب إلي على ألسنة الذين لا يخشون الله تعالى، هذا لفظه في ءاخر نسخة العهود وعقب إجازته التي كتبها أوّلا، وكتب نحو ذلك أيضًا الإمام المحقق الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رحمه الله تعالى. إذا علمت ذلك فيحتمل أن الحسدة دسوا على الشيخ في كتبه كما دسوا في كتبي أنا، فإنه أمر قد شاهدته عن أهل عصري في حقي فالله يغفر لنا ولهم ءامين.

وأما من أثنى على الشيخ من العلماء ومدح مؤلفاته فقد كان الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب كتاب القاموس في اللغة يقول: لم يبلغنا عن أحد من القوم أنه بلغ في علم الشريعة والحقيقة ما بلغ الشيخ محيي الدين أبدًا، وكان يعتقده غاية الاعتقاد وينكر على من أنكر عليه ويقول لم تزل الناس منكبين على الاعتقاد في الشيخ وعلى كتابة مؤلفاته بحل الذهب في حياته وبعد وفاته إلى أن أراد الله ما أراد من انتصاب شخص من اليمن اسمه جمال الدين بن الخياط فكتب مسائل في درج وأرسلها إلى العملاء ببلاد الإسلام وقال هذه عقائد الشيخ محيي الدين بن العربي وذكر فيها زائغة ومسائل خارقة لإجماع المسلمين، فكتب العلماء على ذلك بحسب السؤال وشنعوا على من يعتقد ذلك من غير تثبت والشيخ عن ذلك كله بمعزل.

قال الفيروزابادي: فلا أدري أوجد ابن الخياط تلك المسائل في كتاب مدسوس على الشيخ أو فهمها هو من كلام الشيخ محيي الدين على خلاف مراده.

قال: والذي أقوله وأتحققه وأدين الله تعالى به أن الشيخ محيي الدين كان شيخ الطريقة حالا وعلمًا وإمام التحقيق حقيقة ورسما ومحيي علوم العارفين فعلًا واسمًا إذا تغلغل فكر المرء في طرف من مجده غرقت فيه خواطره لأنه بحر لا تكدره الدلاء وسحاب لا

يتقاصى عنه الأنواء كانت دعواته تخرق السبع الطباق وتغترف بركاته فتملأ الآفاق وهو يقينًا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظني أنني ما أنصفته:

وما علي إذا ما قلت معتقدي
دع الجهول يظن الجهل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن
أقامه حجة للدين برهانا
إن الذي قلت بعض من مناقبه
ما زدت إلا لعلي زدت نقصانا» اهـ

ويذكر عنه الشيخ الشعراني أنه قال في الفتوحات المكية في باب الأسرار: «من قال بالحلول فهو معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد»، وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل «في نفي الحلول والاتحاد»: وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق ولا حل فيه الحق إذ لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديمًا ولا بديعًا. ويقول الشعراني: ولعمري إذا كان عباد الأوثان لم يتجرءوا على أن يجعلوا ءالهتهم عين الله بل قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فكيف يظن بأولياء الله تعالى أنهم يدعون الاتحاد بالحق.

ويقول الشعراني أيضًا في كتاب اليواقيت والجواهر: (خاتمة) قال الشيخ «محيي الدين بن عربي» في الباب الرابع والستين وثلاثمائة قال: وقد حكى الله تعالى عن فرعون ما جاء في الآية ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠﴾ [سورة يونس] فلم ينفعه هذا الإيمان وأطال في أدلة أنه لم ينفعه إيمانه انتهى كلامه.

ثم انظر ماذا يقال فيما يرويه كثير عن الفتوحات المكية أن فيها القول مقبول إيمان فرعون فهذا عند المصنف مما يؤيد أن الشيخ محيي الدين بن عربي ابتلي بمن دس عليه في بعض كتبه فإذا نظرنا إلى هذه العبارة التي ذكرها الشيخ الشعراني مع ما شاع عن الفتوحات من تلك العبارة القائلة بأن إيمان فرعون مقبول فأي الأمرين أولى بأن يكون كلام الشيخ محيي الدين لا شك أن الأولى بالنسبة هو ما وافق القرءان وما أجمعت عليه الأمة أن فرعون لم يقبل إيمانه.

فرضي الله عن سيدي الشيخ محيي الدين هذا الولي المتمكن في مقام المحافظة على الشريعة حيث ينقل عنه سيدي الشيخ مصطفى البكري في كتابه السيوف الحداد في الرد على أهل الزندقة والإلحاد ما نصه: إذا رأينا من يدّعي في هذه الأمة مقام الدعاء إلى الله تعالى على بصيرة ويخل بأدب من ءاداب الشريعة ولو ظهر عليه من خرق العوائد ما يبهر العقول ويقول إن ذلك أدب يخصه لا نلتفت إليه وليس بشيخ ولا محق فإنه لا يؤمن على أسرار الله تعالى إلا من يحفظ عليه ءاداب الشريعة ولكن شرطه أن يبقى معه عقل التكليف فإن طرأ عليه ما يخرجه عن عقل التكليف أي كالمجاذيب وأرباب الأحوال فيسلم إليه حاله ولا يقتدى به» اهـ.

الدينُ النصيحة

ومن كتاب عقود الألماس بمناقب الإمام العارف الحبيب أحمد ابن حسن العطاس رضي الله عنه هذه الفتوى: قال الشيخ زيني دحلان مفتي السادة الشافعية بمكة المكرمة رحمه الله تعالى: سئل الشيخ أحمد الرملي عن القائل بوحدة الوجود: فقال: يقتل هذا المرتد وترمى جيفته للكلاب لأن قوله هذا لا يقبل تأويلًا وكفره أشد من كفر اليهود والنصارى، واستحسن الشيخ ابن حجر منه هذه الفتوى، وكان قبل ذلك يتمحل لبعض المتصوفة القائلين بها ويؤول كلامهم فرجع عن التأويل.

ويقول مؤلف هذا الكتاب السيد علوي بن طاهر بن عبد الله الحداد الحضرمي هذا الكلام العذب في بيان النهي عن مطالعة كتب الرقائق المجردة وما فيه من الشطح والزيغ، وقد ذكر الشيخ زروق في تأسيس القواعد قاعدة في التحذير من الكتب التي تجري هذا المجرى فراجعها إن شئت، ولم يذكر من جملتها مؤلفات الشيخ عبد الكريم الكيلاني لأنه متأخر ومؤلفاته من عند ءاخرها مما ينبغي الاحتراز منه إيثار للسلامة.

فإن قال قائل لا بأس علي من مطالعة هذه الكتب لأني ءاخذ ما أفهمه وأسلم ما لا أفهمه لقائله. (قيل له): قد أنصفت ونحن إنما نخشى عليك مما تفهمه على غير وجهه فتضل عن سواء السبيل كما وقع ذلك لأقوام عكفوا على مطالعة هذه الكتب فصاروا إلى زندقة وإلحاد وقالوا بالحلول والاتحاد فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اهـ.

وإنما صار أولئك إلى الزندقة والإلحاد والعياذ بالله لأنهم اتبعوا

ما تقتضيه نصوصها ومنها الصريح الذي لا يمكن تأويله وقد حاول قوم تأويلها إلى ما يوافق عقائد المسلمين فلم يأتوا بشىء مقبول لغلق عباراتهم في الضلال والبعد عن الحق ولم يتأت لهم ولا يتأتى لأحد بعدهم أن يصلح فسادها ولا أن يقيم معوجها. انتهى من الكتاب.

سقطات جهلة المتصوفة والتحذير منها

وليحذر من بدعة قبيحة استحدثها هؤلاء المنتسبون من غير حقيقة وهي تحريف لفظ الجلالة الله إلى ءاه وأح أحيانًا زاعمين أن ءاه اسم من أسماء الله يدّعون أن لهم حجة في حديث لا هو صحيح ولا هو حسن كما قال المناوي وهو جدير بالحكم عليه بالوضع لمخالفته الآية القرءانية ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف]، وءاه ليس فيه دلالة على الكمال وأسماء الله لا تكون إلا دالة على كمال لأن الله وصفها بالحسن وأي حسن في لفظ وُضِعَ بإجماع أهل اللغة للشكاية والتوجع، واتفق الأئمة على أن ءاه تفسد الصلاة في الجملة.

وهذا الحديث الذي يحتجون به ليس فيه تعرض للفظ ءاه وإنما المذكور فيه الأنين والأنين يصدق من حيث اللغة على اثنتين وعشرين كلمة منها كلمة ءاه فمن أين انتقوا ءاه من بين اثنتين وعشرين كلمة وُضعت للأنين، فلو كان هذا الحديث معمولا به لكان كل واحدة من تلك الكلمات اسمًا لله وهم لا يقولون بذلك، وقد رُفع سؤال إلى شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري يتضمن الذكر بآه فقال: إنه حرام حضور تلك المجالس وقد قال الشيخ ظافر المدني في رسالة له وكان شيخ الشاذلية في المدينة المنورة إن الذكر بآه لم يكن له أساس من الشيخ أبي الحسن الشاذلي قال إنما استحدثه شاذلية فاس.

أيضًا مما يجب الحذر منه ما ذكره العلامة المحدث الورع شيخنا عبد الله الهرري في كتابه «التحذير الشرعي الواجب» ونص عبارته[1]: «ومما يجب التحذير منه فرقة تنتسب إلى الطريقة

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ١٤٤ ـ ١٤٨).

الشاذلية يسمون «الشاذلية اليَشرُطية» نسبة إلى الشيخ علي نور الدين اليشرطي المغربي الأصل نزيل عكا في فلسطين، أما الشيخ علي نور الدين اليشرطي فقد أثنى عليه خليفته الشيخ العالم التقي الزاهد مفتي لبنان الشيخ مصطفى نجا الذي توفي سنة ١٩٣٢ر في كتابه «كشف الأسرار لتنوير الأفكار»، وأثنى عليه غيره أيضًا.

فهذه الفرقة انحرفت عن طريقة الشيخ علي نور الدين وصاروا يعتقدون الحلول أي أن الله حال في الأشخاص الرجال والنساء وهذه من أبشع الكفر.

قال خليفته الشيخ مصطفى نجا ما نصه[١]: «ولقد قال غيرَ مرة: إني بريء في الدنيا وفي الآخرة من كل من يخالف الكتاب والسنة، ولما كنت في حضرته سأله بعض الحاضرين هل يجوز الإنكار على أحد من المريدين؟ فقال: نعم إذا تعدى حدود الشرع» اهـ.

وقال في موضع ءاخر ما نصه[٢]: «وكتب إلى بعض إخواننا من أهل العلم والفضل خارج بيروت: بلغني أن فلانًا فسدت أحواله وخرج عن الميزان الشرعي فاعلموا وأعلِموا الجميع أنه مطرود من طريقتنا الشريفة هو وكل من وافقه على فساده وأفعاله المخلة بالشرع الشريف، وأوصيكم أن تَزِنوا أحوال الفقراء على الكتاب والسنة وكل من رأيتم منه مخالفة فأنتم مأذونون بطرده، ولا تعطوا الطريقة إلا لمن وجدتم فيه الأهلية ورأيتموه متمسكًا بالشريعة الطاهرة المرضية. وكتب لي يقول: كل طريقة تخالف الكتاب والسنة فهي زندقة وباطلة» اهـ.

وقال الشيخ يوسف النبهاني في كتابه «جامع كرامات الأولياء» ما

---

(١) كشف الأسرار (ص/ ٣٥).

(٢) كشف الأسرار (ص/٣٦).

نصه[1]: «انتفع به قوم وتضرر ءاخرون ممن حادوا عن طريق السداد وجانبوا طريق الرشاد وغلب عليهم الجهل حتى تركوا الصلاة والصيام وصاروا لا يفرقون بين الحلال والحرام، وهؤلاء يوجد منهم في عدة بلاد من بلاد الشام كصفد من بلاد عكا وطوباس وأم الفحم من بلاد نابلس. وكان الشيخ رضي الله عنه لما بلغه شأنهم وقبح سيرتهم في أيام حياته كتب إلى سائر الجهات التي فيها مريدون ومناسبات ينهاهم عن مخالطة أولئك الجهلاء المارقين، ويصرح بأنه بريء منهم ومن أعمالهم، ويطردهم من الطريقة، ولم يزل كذلك إلى أن مات وهو عليهم غضبان، وما زال بعد موته يوجد منهم جماعة في البلاد المذكورة إلى الآن» اهـ.

وهؤلاء وصلت بهم هذه العقيدة إلى استحلال الأمهات والبنات كما ذكر ذلك الشيخ راغب الطباخ الحلبي في تاريخ حلب فقال ما نصه:[2] «وإن الحق يقال ما علمنا عليه ـ يعني الشيخ عليًّا ـ سوى ما يوجب الكمال غير أن بعضًا من جماعته قد خرجوا عن دائرة الأدب وتكلموا بما هو لكل ملام سبب، وتركوا في الظاهر كل مأمور وارتكبوا أقبح الأمور» اهـ.

ثم ذكر أنه لم يزل بعض أهل هذه الطريقة يفتخرون بمخالفة الشريعة الغراء، وبترك كل مأمور به فلاطوا بالأبناء وزنوا بالأمهات، وأكلوا الحرام، وانهمكوا في المنكرات، واعتقدوا بأنفسهم أنهم صوفية الزمان وأن من سواهم قد ألبس نفسه ثياب الحرمان.

وذكر لي الحاج شفيق العرجا رحمه الله أنه كان معهم يحضر مجالسهم فقال: إنهم يقولون في الله: «ليس كمثله شيء وهو عين

---

(١) جامع كرامات الأولياء (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٢) إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (٧/ ٣٤٠).

كل شىء»، وقال أيضًا: «إنهم يقولون: بُدئت بعلي وخُتمت بعلي» يعنون بهذا أن القطبية بدئت بعلي بن أبي طالب وختمت بعلي نور الدين، يفتخرون به وهم قد جانبوا سبيله وخرجوا من الإسلام إلى أبشع الكفر، لا حول ولا قوة إلا بالله.

وكنتُ سمعتُ شخصًا مشهورًا فيهم يقال له «محمد عساف» من أهل بيروت يقول تأييدًا لعقيدة الحلول: «قال الشيخ محي الدين بن عربي:

الـربُّ عـبـد والـعـبـدُ رب
يـا لـيـت شـعـري مـن الـمـكـلـف

فقلت له: في أي نسخة رأيتَ هذا الكلام فلم يحر جوابًا.

وهذا البيت مذكور أيضًا في كتاب يسمى «فيض الوهاب في بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب» لعبد ربه الشهير بالقليوبي[1] ونسبه مؤلفه لابن عربي مستحسنًا هذه العبارة وحاول الدفاع بتأويل لا معنى له، فليحذر مما في هذا الكتاب.

ثم قال محمد عساف: «قال الشيخ محي الدين بن عربي: من يرى الفاعل عينَ المفعول به سَقط عنه غُسل الجنابة» وكذب في المقالتين على الشيخ محي الدين فإن في نسخة الفتوحات المدسوس فيها هذا البيت بلفظ:

الـعـبـد حـق والـرب حـق
يـا لـيـت شـعـري مـن الـمـكـلـف

ولا شك أن هذا أيضًا لا تصح نسبته إليه.

وأما المقالة الثانية فلا وجود لها في شىء من كتبه المدسوسة وغيرها وهي قول محمد عساف الذي نسبه إليه: «من يرى الفاعل

---

(١) انظر الكتاب (٢/ ٨١).

عين المفعول به سقط عنه غسل الجنابة» يريد بذلك أن الفاعل والمفعول به شيء واحد. وهؤلاء أحيانًا يتكلمون بلفظ الاتحاد وأحيانًا يتكلمون بلفظ الحلول.

وقد قالت امرأة منهم وهي تحرك يدها: «هذه اليد كيف تتحرك هو فيها» تعني الله، فقلت لها: «أليس الله قادرًا على أن يحركها من غير أن يدخل فيها» قالت: «بلى» ثم عادت فقالت: «هو فيها» وأصرَّت على هذه الكلمة الكفرية.

وقالت الحاجة شفيقة وهي من النساء الطيبات ممن يمارسن علم الدين: إن امرأة من هؤلاء النساء اليشرطيات جاءت إلي زائرة فقالت لي: السلام عليكَ يا حبيبي وكان زوجي الشيخ أنيس الجندي حاضرًا فقال لها: كيف تقولين السلام عليك يا حبيبي فقالت المرأة: أنا لا أريدها أريد الذي فيها تعني أنها تخاطب الله والله تعالى على زعمها حالٌّ فيها، نعوذ بالله من الكفر.

وحكى لي شاب من أهل قرية كفرسوسه السورية واسمه عبد الرحمٰن أنه كان أخذ الطريقة اليشرطية من شيخ من تلك القرية ثم اجتمع به في مجلس فقال ذاك الشيخ لهذا الشاب: أنت الله وهذا الجدار الله قال الشاب: فخرج من قلبي، ثم جمعنا مجلس فقال لي: اقرأ لنا عَشْرَ قرءان فقرأت ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [سورة البقرة] فلما أنهيت العَشر قال لي: لأي مناسبة قرأتَ هذا العشر؟ فقلت له: كيف تعترض علي وأنت قلتَ إني الله، فلم يُحر جوابًا.

وكذلك ذكر لي الشيخ مصطفى البَيطار الحلبي أنه اجتمع بامرأة يشرطية من هؤلاء لها ثمانون مريدة قال الشيخ مصطفى: إنها قالت لي: أنت الله وهذا الجدار الله فقلت له: أين تكون هذه المرأة؟ فقال: إنها في الجبل للاصطياف وتنزل لكل ليلة جمعة إلى

بيروت لتعمل حضرة لمريداتها فقلت له: أكتبُ لها ورقة فقال: أنا أوصلها إليها، فكتبتُ لها ورقة قلتُ فيها: إن كنتِ قلتِ هذا الكلام الذي بلغني عنك فارجعي إلى الإسلام، وإن لم تكوني قلتِ فبرئي نفسك وإلا فلا يسعنا السكوت على ذلك، فجاءني الجواب على لسان الشيخ مصطفى أنها قالت: «أعوذ بالله أنا عبدة لله» اهـ.

وهذه الفرقة تستحل مصافحة الرجال النساء الأجنبيات ويُقبّل النساء أيدي الرجال وبالعكس إذا تلاقوا، نعوذ بالله من الفتن» اهـ.

وأخبرني أحد العلماء الصالحين أن إحدى النساء الغارقات في الحلول قالت: إننا لا نستطيع أن نتحرك لولا أن الله ينحل فينا قالت: له من يحرك هذه اليد فقال لها: الله يحركها قالت له: الله داخل فيها، لعنها الله ما أكفرها شبهت الله بالدم والعروق التي في اليد. الله تعالى يخلق الحركة وفعل العبد من غير مباشرة ولا علاج.

وقد سمعت من أحد المشايخ يدعي التصوف والتسليك وعنده ما يقارب مائتي ألف مريد يقول: الله عين الأشياء وكلامه هذا زندقة وكفر لأنه جعل المخلوقات هي الله فويل له ولمن أخذ بقوله وقد قال الشيخ أبو الهدى الصيادي الرفاعي رضي الله عنه في بعض رسائله: من قال أنا الله أو لا موجود إلا الله أو هو الكل فإن كان في عقله حكم بردته وإلا فلا».

وقال سيدي الإمام الجنيد شيخ الصوفية رضي الله عنه «لو كنت حاكمًا لضربت عنق من يقول لا موجود إلا الله» وذلك لأن هذه الجملة لا موجود إلا الله بمعناها اللغوي صريحة في جعل كل الموجودات عين الله وقد يَنْحَلُّ معناها على نفي جميع الموجودات سوى الله وقد أثبت الله تعالى ذاته بقوله الحمد لله رب العالمين وأثبت ربوبيته لخلقه بقوله رب العالمين ولذلك قال ابن عربي عبارة سليمة من الاعتراض وهي: «لا موجود بذاته إلا الله».

ولقد أُلف في بيروت مؤلّف سمي بالمعجم الصوفي وهو كتاب في الحقيقة هدم للإسلام فيه عبارات الوحدة المطلقة وهي من أكبر الكفر فليحذر.

وليُحذر من كتاب اسمه «الإسلام دين المستقبل» المنسوب للفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي ترجمة عبد المجيد بارودي فإن فيه كلمات الحلول الكثيرة يقول في الصحيفة ١٢٦: «فيجب أن يولد الله في نفس المرء»، ويقول: «إن الله بحاجة لقلبي لكي يولد» وعبارات أخرى مماثلة في الكفر والحلول وكذلك هذا الكلام عينه في النسخة الفرنسية وفي مؤلفين ءاخرين بالفرنسية.

وليحذر من طائفة تدعي التصوف الإسلامي في أوروبا وتقول ليس الشأن في إقامة الصلاة بل الشأن في تصفية الباطن فالإنسان يصل إلى الله بالإسلام وبالبوذية والمجوسية وغير ذلك إن صفا باطنه وهذا كفر من شك فيه يكفر لأنه تكذيب لنصوص القرءان صريح وردّ النصوص كفر اتفق على ذلك علماء الإسلام من فقهاء وصوفية وغيرهم. فمن أراد الإسلام فليأته من بابه قال الله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴿١٨٩﴾﴾.

واعلم أن الحكم الشرعي فيمن يقول: أنا الله أو نحو ذلك من هذا الكلام قال إمام الحرمين في كتابه نهاية المطلب في معرفة المذهب الذي قال فيه ابن خلكان: «ما ألف في الإسلام مثله» فيه: «من نطق بكلمة صريحة في الردة ثم زعم تأويلًا لا يقبل منه» أي تأويل أو استعمال المجاز ولذلك كفر علماء بغداد الحسين بن منصور الحلاج فقتل وصلب بأمر الخليفة المقتدر بالله العباسي سنة ٣٠٩ للهجرة وكان قاضي الجماعة أبو عمر المالكي، وقال الصوفي المشهور أبو عبد الرحمٰن السلمي في طبقات الصوفية إن أكثر الصوفية نفوه أي الحلاج ولم يعتبروه منهم، وكذلك قال

الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وغيرهما وكان في عصره أربعة من الصوفية اعتبروه منهم.

ونقل أيضًا عن العز بن عبد السلام أنه قال يعزّر ولي قال أنا الله في حال الغيبوبة ولا ينافي ذلك ولايته لأنه غير معصوم يعني ابن عبد السلام أن الولي إذا قال بلسانه في حال ارتفاع التكليف عنه ذلك لغيبة عقله كالمجنون العادي يعزّر لأنه ينكف عن قوله بالتعزير لأن التعزير يؤثر في المجنون كما تؤثر العقوبة بالضرب في البهائم ولم يردْ أن الولي يتكلم بكلمة كفر في صحوه بإرادة لأن الولي معصوم عن أن يتكلم بكفر ما دام بحالة التكليف كما دل على ذلك الحديث القدسي: **«من عادى لي وليًا فقد ءاذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به»** الحديث، وفي رواية: **«ويكون من أوليائي وأصفيائي»**.

وقد نقل الشعراني عن الشيخ محمد بن أبي جمرة قوله لو قدرت أن أقتل من يقول لا موجود إلا الله فقلت فما يقول هذا في بوله وغائطه وعجزه عن دفع الآلام عن نفسه وشرط الإلـٰه أن يكون قادرًا فكيف يقول أنا عين الحق هذا من أضل الضلال. كتاب الطبقات.

وقال الإمام الرفاعي رضي الله عنه في حق الحلاج: «لو كان على الحق ما قال أنا الحق»، وقال الإمام الجنيد إمام الصوفية له: «لقد فتحت في الإسلام ثغرة لا يسدها إلا رأسك». وفعلًا قتل الحلاج بعد وفاة الجنيد وتحقق ما قاله بعد تسع سنين.

ويجب التحذير من هذه الكلمات التي تلقى وتقال كثيرًا ثم يدعي قائلها غير ظاهرها فيحاول تأويلها لكي يقول بأنه لم يقع في الكفر وهذه الكلمات التي لا تحتمل التأويل ولا المجاز توقع الإنسان في الكفر إذا تلفظ بها ولو في حالة الغضب، ولا يصدر هذا من ولي

الله إلا إذا كان في حال غيبوبة عقل. فمن قال في الحلاج إنه كان في حالة غيبوبة حين تلفظ بتلك الكلمات فلا اعتراض عليه أما الذين يقولون إنه كان في حالة صحو فنطق بها عمدًا على المعنى الذي يفهمه فهذا مردود مبطل لأن ذلك إباحة لكلمة الكفر وقد قال الفقهاء من استحل معصية ظاهرة فقد كفر، ولو أجيزت مثل هذه الكلمات بدعوى التأويل لانفتح على الناس باب واسع من الكفر لأنه لم تبق كلمة كفرية إلا وهي جائزة بالتأويل وهذا لا يقبله ذو دين وإيمان ولانسد باب من أبواب الحكم الشرعي ألا وهو ما يتعلق بأحكام المرتد، قال القاضي عياض المالكي في كتابه «الشفا» وهذه قصة حدثت فعلًا «قيل لرجل لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله ﷺ كذا وكذا من السب والكلام القبيح فأخذ إلى الحكومة فقال إنما أردت برسول الله العقرب أو الصاعقة فلم يقبل تأويله بل قتل.

ويوجد في أيامنا هذه كثير ممن يتفوه ويتلفظ بهذه الكلمات الكفرية الصريحة ثم يدعي التأويل ويوجد بعض من يدّعي الصوفية يتلفظ بهذا الكلام والبعض يعتقد بأنه ولي من أولياء الله. وقد بلغ بعضهم في الوقاحة إلى أن قال: «الذَكَرُ قلم القدرة والفَرْجُ عبارة عن الحضرة الإلٰهية» فالحذر الحذر من هذه الكلمات ومن الذين يستحسنونها بدعوى أن هذا من خصائص التصوف وليس هو من التصوف في شىء بل كما قال شيخ الصوفية السيد الإمام الرفاعي: «إياك وهذه الأقاويل لأنها من الأباطيل» فجزاه الله عن الإسلام خيرًا.

وقد أخبرني عالم جليل صوفي يدافع عن الشيخ محيي الدين بن عربي وجميع الأولياء ويبين في دروسه وجلساته العلمية العامرة بالبركة والإخلاص أن كل ما يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة مدسوس على أهل الله وهم بريئون من كل ما يناقض التوحيد،

ولقد نصح أحد المشايخ المولعين بقراءة الفتوحات المكية قائلًا له لا تقرأها فإن فيها دسًّا وكفرًا قبيحًا مدسوسًا على الشيخ محيي الدين ولا علم له بذلك فلم يقتنع هذا الشيخ حتى اجتمعا من غير ميعاد عند العارف بالله الشيخ أحمد الحارون رحمه الله وكان يحب هذا العالم لإخلاصه في علمه وعلو شأنه في المعرفة فسأله عن رأيه بالفتوحات المكية ومعروف أن الشيخ أحمد مولع بحب ابن عربي فقال له الشيخ أحمد: «فيها دس كثير» فاقتنع المطالع لها وأخذ الجواب من غير اعتراض، لأنه له عظيم اعتقاد بالشيخ أحمد وتيقن أن كلام هذا العالم حق وصدق.

فينبغي أن يستحضر طالب الحق هذه القاعدة إن الصريح لا يؤول فلا يلقها من يده فإنها تنفعه وتمنعه من التسليم لما يراه في الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين بن عربي من العبارات التي هي صريحة في الكفر. ورأينا في ذلك أنها مدسوسة عليه لأمرين:
- أحدهما أن الشعراني قال إنه اطلع على النسخة الأصلية فوجدها خالية من هذه الكفريات وأن صاحب المعروضات المزبورة «أحد الفقهاء المشهورين في أهل المذهب الحنفي قال: تيقنا أن اليهود دسوا عليه في فصوص الحكم. والثاني أن الحافظ ابن حجر قال في لسان الميزان في ترجمة ابن عربي اعتدَّ به حفاظ عصره كابن النجار وابن الدبيثي، ويؤيد ذلك أن في الفتوحات المكية عبارات صريحة في إبطال القول بعقيدة الحلول والاتحاد والتنزيه الصريح لله تعالى عما ينزهه أهل الحق ففيها الكثير من هذا والكثير من ذاك.
وإني أبرأ إلى الله مما يقول كثير من المولعين بمطالعتها إن كل تلك الكلمات تؤول تصحيحًا لها مع صراحتها في الكفر؛ منها أن الله خلق الخلق من أصل هو عينه كالحبة الواحدة تخرج منها الحبوب.
فليت شعري ماذا يصنعون بهذه العبارة وأمثالها فإن قبلت هذا

التأويل عندهم فأين الكلمة الكفرية التي لا تقبل التأويل حتى يُرتّبَ عليه أحكام الردة التي وضعها الأئمة جزاهم الله خيرًا فإذا علم ذلك فحذار مما يخالف القاعدة المقررة أن التأويل في اللفظ الصريح لا يقبل.

وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه «لطائف المنن»[1]: «وليحذر من كتب الشيخ محيي الدين بن عربي ولا سيما الفتوحات المكية وفصوص الحكم لعلو مراقيها وللكلام المدسوس على الشيخ فيها».

وليحذر من طائفة تنتسب إلى الدندراوية يرددون هذه العبارة: «اللهم صل على كل الكائنات وكائناتها وكل المخلوقات ومخلوقاتها إكرامًا لمن كان السبب في وجودها» فهذه الصيغة فيها خروج عن مذهب أهل الحق ولا سيما الصوفية لأن فيها منافاة لقول الله تعالى ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴿٣﴾﴾ [سورة فاطر].

وليحذر أيضًا من التّجّانية فإنهم يذكرون في كتبهم أن الواحد منهم لمجرد انتسابه إلى الطريقة التّجّانية يصير أفضل من القطب من غيرهم وفيها أن زيارة الأولياء أحياءً كانوا أو أمواتًا يقطع المريد عن الطريقة وعندهم في أورادهم صيغة يسمونها الصلاة الغيبية يقولون فيها «اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عين ذاتك الغيبية». قبح الله أهل الغلو ما أسخفهم فهذه الجملة من قالها كافر مرتد، وإننا نعتقد أن الشيخ التّجّانية بريء من مثل هذه الأقاويل فإنه كان متمسكًا بالشريعة الغراء ويأمر مريديه بذلك.

وليحذر من الداغستانية أتباع الشيخ عبد الله الداغستاني الذي كان نشر مقالة في بيروت في جريدة دعوى أنه مات قبل هذا

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٣٩٤).

وحضر أربعة وعشرون ألف نبي فردّوه إلى الحياة وأنه لا يموت حتى يظهر المهدي ويعيش معه سبع سنوات ثم أماته الله بعد هذه المقالة بأربعة أشهر أو ثلاثة، ومن دعاويه الكفرية ما نشره في رسالة له عليها صورته إن الذي يقرأ الفاتحة ينال من التجليات والفضائل ما لم ينله الأنبياء والأولياء لو كان قارؤها كافرًا معلنًا أو منافقًا فاسقًا أو وليًا إلى غير ذلك من الدعاوى الباطلة وخلفه رجل يسمى ناظم معروف بالقبرصلي ينشر ضلالاته فالحذر الحذر من هؤلاء.

وليحذر من جماعة أمين شيخو الذي خَلَفَه بعد وفاته عبد الهادي الباني فإنهم يدعون التصوف على الطريقة النقشبندية وهم من أبعد الناس من التصوف لأنهم يعتقدون أن الله شاء السعادة لجميع الخلق فلم تتنفذ مشيئته في أكثر الخلق وأهل الحق متفقون على أن كل شيء بمشيئة الله فجميع أعمال العباد من خير وشر فهي بمشيئة الله ويعتقدون أن الله ما كان عالمًا قبل خلق الكافر بأنه سيكفر وإنما علم بكفرهم بعد أن وُجِدوا وهذا كفر بإجماع المسلمين لأن المسلمين متفقون بلا خلاف أن الله عالم بما كان وما يكون حتى ما يكون في الآخرة مما لا يتناهى وقولهم إن الرسول لا يشفع للعاصي.

تنبيه: ومما يجب التحذير منه قول بعض جهلة المتصوفة إذا نوقشوا بمسئلة شرعية غلطوا فيها: «هذا صح كشفًا»، ونحو هذا ذكر في كتاب «الفتح الرباني والفيض الرحماني» والمسمى أيضًا بأسرار الشريعة للشيخ عبد الغني النابلسي ونصه[1]: «أما ما ذهب إليه الشيخ محي الدين بن عربي في كتابه الفتوحات المكية وغيره من أن عذاب الكفار في النار ينقلب عذوبة فيتلذذون به بعد انقضاء مدة الآلام فهو أمر مبني على الكشف عن أسرار الحقائق

(١) انظر الكتاب (ص/١٨٩ - ١٩٠).

الأخروية، وقيل: ليس في هذا مخالفة لما ذكرناه من مذهب الجمهور أن عذاب الكفار في النار دائم أبدي، وقيل: إن الله يتجلى لأهل النار بصفة الجلال» اهـ، وهذا الكلام باطل فإن إلهام الولي ليس من أسباب العلم القطعي فهو ليس بحجة كما ذكر ذلك النسفي، والمنام أقل شأنًا، قال الإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية رضي الله عنه: «ربما تخطر لي النُّكتة من نُكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة»، والنكتة: هي الوارد أي الإلهام، واللائق بمقام الشيخ عبد الغني النابلسي أن يكون هذا الكلام ونحوه مما دُسَّ عليه.

وكيف لا يكون هذا الكلام باطلًا وهو يخالف صريح القرءان والسنة الصحيحة وإجماع المسلمين.

والقول بفناء جهنم قال به ابن تيمية وأيَّده تلميذه ابن قيم الجوزية بعده وأكثر الكلام في تأييده، والقائل بهذا كافر. وهذه من أكبر ضلالات ابن تيمية الحراني.

أما مخالفته للآيات القرءانية الدالة على بقاء النار واستمرار عذاب الكفار بلا انقطاع إلى ما لا نهاية له كثيرة جدًّا منها قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة فاطر]، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة الإسراء].

وأما مخالفته للحديث الصحيح الثابت: فحديث «**يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة خلود فلا موتَ، ولأهل النار: يا أهل النار خلود فلا موتَ**» رواه البخاري[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق: باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب.

وأما الإجماع فهو منعقد على بقاء النار ودوام عذاب الكفار فيها، نقله الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي في رسالته «الاعتبار ببقاء الجنة والنار» وذكر أن من رد ذلك فهو كافر.

ومثل هذا الاعتقاد مركوز في فطرة المسلمين معلوم من الدين بالضرورة فلا يليق بالشيخ محي الدين بن عربي ولا بالشيخ عبد الغني النابلسي فهو مما دُس عليهما رحمهما الله تعالى.

ومما يجب التحذير منه أيضًا ما شاع عند بعض جهلة المتصوفة أن الأولياء والخواص لا حاجة لهم إلى علم الدين ولا إلى النصوص الشرعية بل يكفيهم الإلهام والفيوضات، فالجواب ما ذكره الشيخ الفقيه يوسف الأردبيلي في كتابه أنوار أعمال الأبرار ونصه[١]: «ولو قال: الله يلهمني ما أحتاج إليه من أمر الدين فلا أحتاج إلى العلم والعلماء فمبتدع كذاب يلعب به الشيطان» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ما نصه[٢]: «ذهب قوم من الزنادقة إلى سلوك طريقة تستلزم هدم أحكام الشريعة فقالوا: إنه يستفاد من قصة موسى والخضر أن الأحكام الشرعية العامة تختص بالعامة والأغبياء وأما الأولياء والخواص فلا حاجة بهم إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم ويحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم لصفاء قلوبهم عن الأكدار وخلوها عن الأغيار، فتنجلي لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية فيقفون على أسرار الكائنات ويعلمون الأحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات كما اتفق للخضر فإنه استغنى بما ينجلي له من تلك العلوم عما كان عند موسى، ويؤيده الحديث

---

(١) أنوار أعمال الأبرار (٢/٤٨٩).

(٢) فتح الباري (١/٢٢١).

المشهور[1]: «استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك».

قال القرطبي: «وهذا القول زندقة وكفر لأنه إنكار لما عُلم من الشرائع، فإن الله قد أجرى سنته وأنفذ كلمته بأن أحكامه لا تُعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه المبينين لشرائعه وأحكامه كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ٧٥﴾ [سورة الحج]، وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ١٢٤﴾ [سورة الأنعام]، وأمر بطاعتهم في كل ما جاؤوا به وحث على طاعتهم والتمسك بما أمروا به فإن فيه الهدى، وقد حصل العلم اليقين وإجماع السلف على ذلك، فمن ادعى أن هناك طريقًا أخرى يُعرف بها أمره ونهيه غير الطرق التي جاءت بها الرسل يستغني بها عن الرسل فهو كافر يُقتل ولا يُستتاب، وهي دعوى تستلزم إثبات نبوة بعد نبينا لأنه من قال إنه يأخذ عن قلبه لأن الذي يقع فيه هو حكم الله وإنه يعمل بمقتضاه من غير حاجة منه إلى كتاب ولا سنة فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة كما قال نبينا ﷺ: «إن رُوح القدس نفث في رُوعي»[2].

قال: وقد بلغنا عن بعضهم أنه قال: أنا لا ءاخذ عن الموتى وإنما ءاخذ عن الحي الذي لا يموت، وكذا قال ءاخر: أنا ءاخذ عن قلبي من ربي، وكل ذلك كفر باتفاق أهل الشرائع، ونسأل الله الهداية والتوفيق.

وقال غيره: من استدل بقصة الخضر على أن الولي يجوز أن يطلع من خفايا الأمور على ما يخالف الشريعة ويجوز له فعله فقد ضل، وليس ما تمسك به صحيحًا فإن الذي فعله الخضر ليس في

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨)، والدارمي في سننه (٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤)، والقضاعي في مسنده (٢/ ١٨٥).

شيء منه ما يناقض الشرع، فإن نقض لوح من ألواح السفينة لدفع الظالم عن غصبها ثم إذا تركها أعيد اللوح جائز شرعًا وعقلًا، ولكن مبادرة موسى للإنكار بحسب الظاهر، وقد وقع ذلك واضحا في رواية أبي إسحاق التي أخرجها مسلم ولفظه[1]: **«فإذا جاء الذي يُسَخِّرُهَا فوجدها منخرقة فتجاوزها فأصلحوها بخشبة»** يستفاد منه وجوب التأني عن الإنكار في المحتملات، وأما قتله الغلام فلعله كان في تلك الشريعة، وأما إقامة الجدار فمن باب مقابلة الإساءة بالإحسان» اهـ.

ويكفي في إبطال قول هؤلاء حديث مسلم[2]: **«كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»**.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل: باب من فضائل الخضر عليه السلام.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

الخاتمة

واعلموا أن التحذير ممن يضر الناس في دينهم أو دنياهم واجب شرعي اتفق عليه علماء الإسلام من أجل ذلك جرت عادة علماء الحديث السلف منهم والخلف على ذكر أناس تعاطوا رواية الحديث بالجرح قام بذلك أئمة كل عصر، في عصر التابعين كان أئمة يذكرون أناسًا بالجرح وكذلك في العصر الذي يليهم قال أئمة بجرح من لا يؤتمن على شرع الله وكذلك أهل العصر الذين يلونهم قام أئمة منهم بذلك فقد ألف المحدثون كتبًا في بيان المجروحين وكتبًا لبيان الثقات وكتبًا يمزجون فيها بين الفريقين فكان من هؤلاء الأئمة مالك والشافعي والإمام أحمد بن حنبل فقد قال الإمام مالك عن محمد بن إسحاق المؤلف في المغازي تأليفًا مشهورًا إنه خبيث وكان من أهل بلده المدينة المنورة، وكذلك الإمام الشافعي قال عن بعض الرواة: الرواية عن حرام حرام، وحرام اسم رجل يقال له حرام بن عثمان وكذلك أحمد بن حنبل قال: كتب الواقدي كذب، وكذلك البخاري ذكر أناسًا من الرواة بالجرح وكذلك مسلم وكذلك بقية أصحاب الكتب الحديثية المشهورة كالنسائي والترمذي، وعمل هؤلاء كان عملًا بقوله ﷺ **«الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»** فالنصح لله ولرسوله يشمل بيان من يكذب على الله وعلى رسوله بالتحذير منه وكذلك يدخل في النصيحة لدين الله ذكر من يقول في دين الله ما لا علم له به في دروسه أو يذكر في مؤلفاته ما لا أساس له في دين الله، وكذلك من يتعاطى التدريس في علم الدين وليس بأهل لذلك فالتحذير من هؤلاء واجب من أجل هذا الحديث وكذلك من يدعي أنه صوفي وهو يخبط ويخلط متعمدًا أو

عن جهل كشفهم واجب بالتحذير منهم بالاسم حتى الأموات منهم فهذا الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي والشيخ عبد الرحمٰن السلمي الصوفي ذكرا الحلاج بالجرح والطعن فيه مع أنهما لم يدركا عصره.

فالمنصف العاقل يحكم بالشرع لا بالرأي الفاسد والهوى الباطل فكيف يتجرأ أحد أن يضلل مثل هؤلاء المشايخ الصوفية الذين يتبرأون من عقيدة الحلول والاتحاد وأن من يقول بها يعتبرونه خارجًا من الإسلام، وهذه نصوصهم نقلتها عنهم وكلماتهم السديدة ونصائحهم المفيدة في التمسك ظاهرًا وباطنًا بالشرع، والإنكار على من ينتسب للتصوف بالاسم فقط وهو ممن حاد عن العمل بالشريعة واشتغل بهواه الشيطاني ورأيه الدنيء.

كم من أناس دخلوا في الإسلام على أيدي السادة الصوفية كتب التاريخ تشهد عن انتشار الإسلام على أيدي هؤلاء في بقاع الأرض. هذا الإمام أحمد الرفاعي الكبير كان عالمًا فقيهًا محدثًا حافظًا نحويًا أصوليًا وكان يحضر درسه مائة ألف شخص، وكان الملوك والأمراء والفقراء والأدباء والنحويون والأصوليون والعلماء والمحدثون والصوفيون كل يستفيد من درسه الحاوي لكمالات العلوم الإسلامية وكذلك كان يحضر اليهود والنصارى والمجوس وقد أسلم منهم حوالي عشرة ءالاف شخص.

وقد انتسب إليه فحول علماء زمانه وعول عليه المحدثون الكبار والفقهاء الذين كانوا يشار إليهم بالبنان في زمانهم لعلوهم في المعرفة ودقتهم العلمية وفقههم القوي في الشرع. ولقد سئل سيدي الإمام الرفاعي مرة في درسه مائتي سؤال في مختلف فنون العلم في العقيدة والفقه والحديث والتفسير وغير ذلك فأجاب عليها فقام أحد العلماء الكبار وقال: يكفي لقد أتعبتم الشيخ فرد عليه رضوان

الله بما معناه: دعهم فليسألوني قبل أن يفقدوني فهاج المجلس واضطرب وعلا البكاء لشدة تأثرهم من حلاوة منطقه وعذوبة ألفاظه وشدة صدقه في إلقاء الدروس العامرة بالنور المحمدي والبركات وقد أسلم في هذا المجلس الكثير من النصارى واليهود.

وهذا الإمام الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي كان يدرس في كل يوم اثني عشر درسًا في مختلف فنون العلم من الفقه والتوحيد والتفسير والحديث وغيره، وكذلك الإمام أحمد الفاروقي السرهندي النقشبندي الذي عرف بالمجدد للألف الثاني اهتدى على يديه الألوف في الهند وكان من كبار العلماء، وكذلك أئمة الطرق الأخرى كانوا من فحول العلماء رضي الله عنهم.

وقد قال الإمام علي رضي الله عنه: «ليس الحق يعرف بالرجال إنما الرجال يعرفون بالحق» ا.هـ، فمن ينكر على هؤلاء السادة فهو أعمى القلب والبصيرة وكذلك من يدعي أنه صوفي وهو بعيد عن الشرع فهو مغرور دجال.

وإنني أحمد الله تعالى أن وفقني للدفاع عن هؤلاء السادة الأعلام الأئمة الأخيار وأسأله أن يلْحقني بركبهم الصافي المشرب وأن يرزقني من شريف أحوالهم الحسنة وأن يحشرني معهم تحت لواء سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى ءاله الطاهرين وصحبه الميامين وسلم وسبحان الله، والحمد لله رب العالمين ربنا اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات.

الفهرس